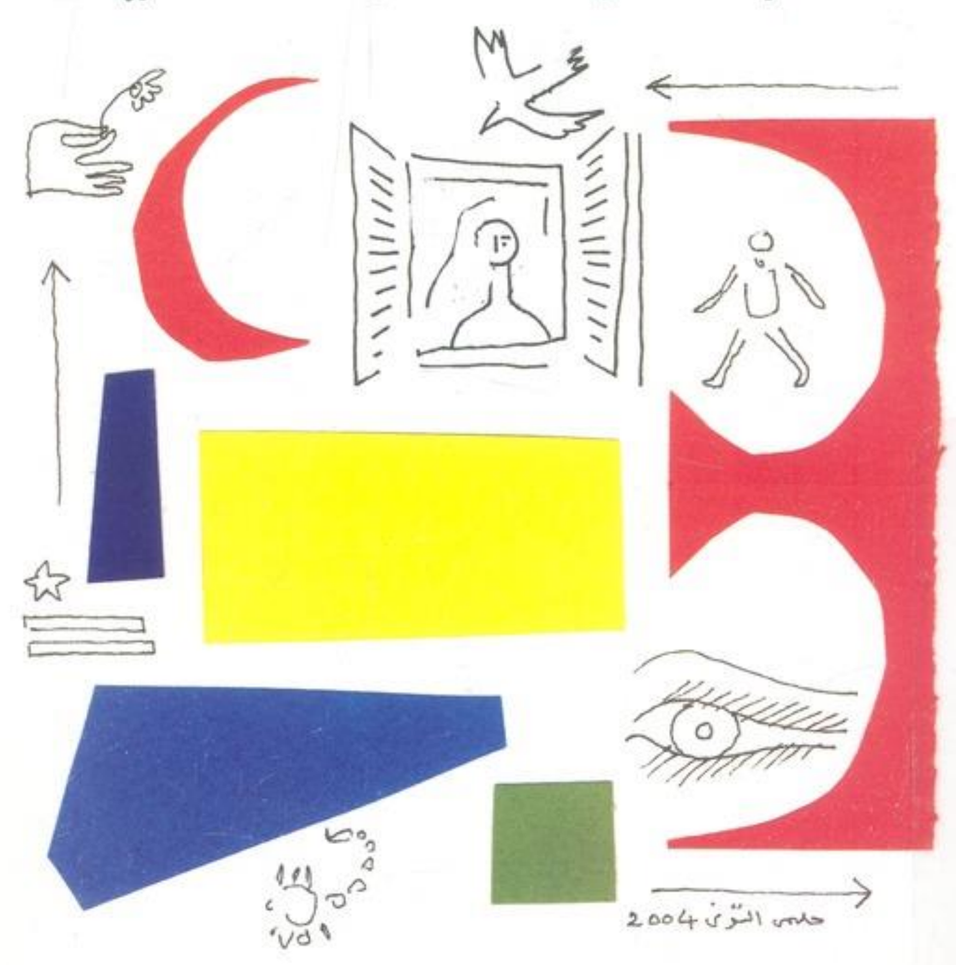
عبد الوهاب المسيرى

أغانى الخبرة والحيرة والبراءة

سيرة شعرية
شبه ذاتية شبه موضوعية



دار الشروق

أغانـــــــي
الخبرة والحيرة والبراءة

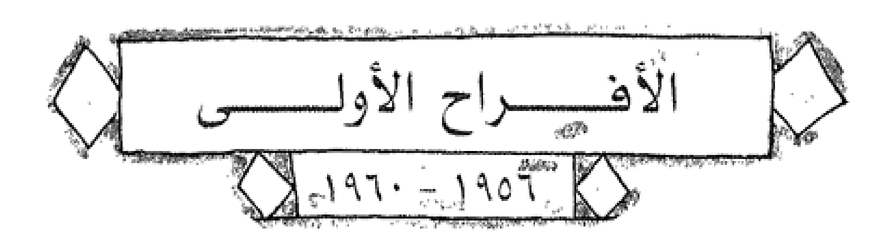
الطبعـة الأولـى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى
رابعة العدوية - مدينة نصر - ص . ب : ٣٣ البانوراما
تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

عبد الوهاب المسيرى

أغانـــــى
الخبرة والحيرة والبراءة

دار الشروق

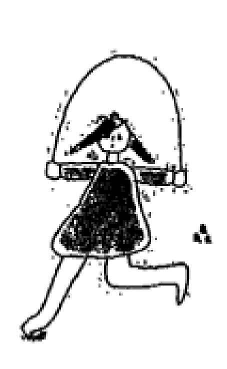

الأفـــراح الأولـــى
١٩٥٦ - ١٩٦٠م



أربعةُ سطورٍ للكرةِ الأرضية

لو كان لي ألفُ ذراع
لو كان لي ألفُ قدم ،
لضممتُ الأرضَ إلى صدري
وأغمضتُ عينيَ في شغفْ .

١٩٥٦



« تِسْلَم إيدين اللي اشترى »

(أغنية شعبية)

ويغني الرجلُ
ليقطِّرَ في القلبِ محبةْ ،
لتزهرَ في الخد ورودْ ،
لتجريَ في العين جداولْ ،
ليُغرِّدَ صدَّاحُ الصوت .

.. محبة
ذاتُ عيونٍ صافيةٍ تنمو ،
تربو تترعرع ،
وتضوِّئُ في القلبِ شعاعاً .

.. محبة
يا إخوةُ .. سلمتْ ،
وسلمتْ أيديكم .

١٩٥٧

منديل حبيبي
(سوناتا بالعامية)

«ليس لنا أصدقاء دائمون، ولا أعداء دائمون .. بل مصالح دائمة !»

(بالمرستون)

منديل حبيبي أحمر بلون الورد والحِنَّه ،
منديل حبيبي حرير أشيله في عنيَّه ،
منديل حبيبي يهفهف ،له ريحه م الجنَّه ،
منديل حبيبي الجميل .. إمتى نتهنَّى ؟

منديل حبيبي في وسطه نجوم وهلال ،
وفيه شجر وجناين ودنيا فيها جمال ،
جمال ينوَّر في دنيا ما فيها حتى خيال ،
ما فيها إلا دهب .. أما الجمال فهو زال .

منديل حبيبي .. برضه لِسَّه في قلبي بذور ،
بذور بتضرب هِنا جوَّه في قلبي جذور ،
ولِسَّه السما بتطلع فيها نجوم وبدور ،
ولِسَّه صاحبك هِنا يخلق هَنا وسرور .

منديل حبيبي بكره حاييجي في لمحه ،
وانت ترفرف هِنا في الدنيا م الفرحة . ١٩٥٧

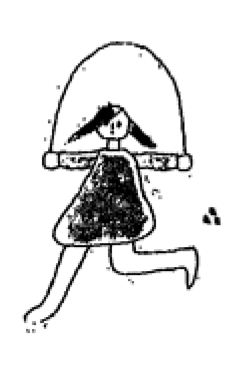
أزمـــة

كلَّ ليلة
في الصقيع الجامد
ودموعي الباردة ،
تأتيني عينُ حبيبي
مثلَ نورٍ دافئٍ
وربيعٍ وشموسٍ ساطعة .

آهِ يا شمسَ الربيع الساطعة ،
مزقي ما حولَ قلبي من غيوم ،
ذوّبي ما حولَ صدري من جليد ،
ضَمِّدي جُرحي الذي لا يندمل ،
واجعليني مثلَها
طيراً يرفرف صادحاً ،
نَجْماً يشعشعُ بالضيا
لا ينطفئ .

١٩٥٨

جَنـاح



كلٍّ يومٍ لي جَناحٌ
ينبتُ فأسبحُ طائراً
فوق القرى ، فوق المدن ،
بين القلوب الباسمة .

وأظلُّ أسبح طائراً ،
أبداً عيوني صاحية ،
بين الأيادي وردتي
حمراءُ في لونِ الشفق ،
وعلى الشفاه محبتي
مثلَ الندى ، مثلَ المطرْ ،
أصدح بها لا أنقطع .
رغم القنابل والقنا
أبداً سأسبح طائراً .

أبداً سأسبح طائراً ،
أُلقي السلامَ أحبتي
للواقفين على الجبال ،
للجالسين على التلال
بين الحشائش والندى

يحكون قصةَ حبهم ،
للعائدين من الحقول
بين الأغاني والعَرَق ،
للناطقين حروفَهم
في وجه من صنع الصنم ،
أُلقي السلامَ أحبتي
وأظلُّ أسبحُ طائراً .

وأظلُّ أسبح طائراً ،
حتى أقابلَ حُلوتي ،
أهمسْ : حياتي الغالية
هيا إلى أرض القمر ،
فيها الرؤى مثلُ الدُّرَر
والقلبُ يخفِقُ في فرح
والأرض فيها لؤلؤ .
يا حُلوتي لا تَجْفُلي
لا ترجعي
هيا معي نحو القمر ،
حتى أغنيَ طلعتَك .
وأظلُّ أسبحُ طائراً . ١٩٥٨

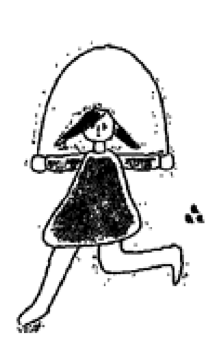
إلى عُمّال مصر
(قصيدة بالعامية المصرية)

أنا ماشي في الجنينة الخضرا في وسط الحبايب
وف إيديا حفنتين فُل وندى ،
بين ضلوعي فرحتي ،
من فرحتي
قلت اغني لكو قصيدة سعدكم ،
قلت احكي لكو حكاية فجركم ،
قلت اطير بجناح حمام بين السحب .

يا سلام .. شفت العجب !
كل البلاد متنورة
من وسطها طالع عمود نور للسما ،
آخره غصون متفرعة
مكتوب عليها : «مرحبا
اتفضلوا .. دي أرضكو
أرض الرجال واللي اشتغل واللي عِرق» .
جات لي صبية وشها زي القمر
ادتني وردة مفتحة ،
وبصوت ملايكي بين ضلوعي له صدى

غنت تقول :
«حتْدُوب تلال الملح في كل البلاد
والصحاري تنزرع ،
والجبال فوقها علَم في أرضكم ،
والسبع يخطر م الفرح
والكلب ينبش في التراب في أرضكم» .
يا فرحتي ،
أنا بالبشاير يا حبايبي جيت لكم .

١٩٥٨



سقراطي الساخط

«خيرٌ لي أن أكون سقراطاً ساخطاً، من أن أكون خنزيراً راضياً !»
(چون ستيورات ميل)

سقراطي الساخطُ ما يفتأ
يغرس في قلبي الآلاما ،
فيُحيل حياتيَ أشواكاً
ويحيل سكوتيَ زلزالاً .
سقراطي الساخطُ سقراطي
مالي ودماءَ الشهداء ،
ودماءً نزفت في بلدٍ
لم أبصر كوكبها الساطع .
سقراطي الساخطُ قد توجَ
رأسي بالشوك .. أيا حزني ،
قد عتّق من دمي خمرا
من لحمي قد خبز رغيفا .
سقراطي .. من ألمي تنبع
عينٌ في طهر البلور ،
ويموت الخنزيرُ المُتخم

فتضوِّئُ في العين مشاعل .

يا وردي تفتَّحْ يا وردي ،
يا قمري اسطعْ يا قمري ،
يا نجمي أرسلْ إشعاعك ،
سقراطي قد طهر جسدي !

١٩٥٨



رحلـة

النرجسيّ

«فوق الجبل سأصلب ذاتي
حتى يصعدَ شدوي لكمُ ،
شدوي نجمُ الفجر اللامع
ضوءاً ذاتيَ في العتماتِ ،
شدوي بدرٌ للعشاقِ
يبزغ في جنات الحب ،
وهْوَ شموسٌ ترسل دفئاً ،
وهْوَ لواءٌ .. وهْوَ بيارق ،
وهْوَ جداولُ تروي العطشَى» .

البرج العاجيّ

هوت الكَلمةُ تلوَ الكَلمة
في صحراء الصمت المطبق ،
خرّت صَرْعى لم يسمعها
إلا الرملُ الميتُ وحدَه ،
كسر الشاعرُ قيثارتَه ،
سار وحيداً لا يؤنسه

في وَحْدته إلا ذاتُه ،
لا إخوانَ ولا خلاَّنْ
فهمُ صُمٌّ أو عُميانْ .

«قلبٌ حجرُ ،
أُذْنٌ شمعُ ،
عينُ زجاجٍ يا أقزامْ» .

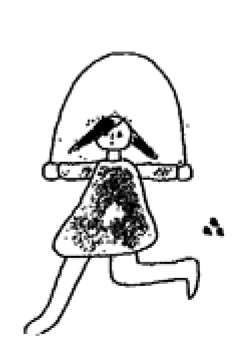
صعدَ جبالَ الشعر الخالص ،
طرقَ دروبَ القمر الأخضر ،
وبفردوسِ الله الشاسع
شَرِبَ اللبنَ وأكل المنَّا :
أَغمضْ عينك ، فَهْوَ إلهْ !

الولادة الجديدة

كيف نسيتُكَ يا عُصفوري ،
يا من يقطُن قلبي الباكي
عشَّش فيه فلا يبرحهُ ؟
كيف نسيتُكِ يا أحلامي ،
يا ذاتَ العينِ العسلية
يا من ألقى معها الفرحة ؟

أنتِ الحُلُمُ وأنتِ المَثَلُ ،
أنتِ الفكرةُ أخذت شكلاً ،
أنتِ خيالُ الشاعرِ يُبدع
عالمَ خيرٍ محضٍ مطلق ،
يعطي أُذناً للخِلاَّن
وهْوَ عيونٌ للأصحاب ،
وهْوَ شواطئُ أمنٍ يرسو
فيها قلبٌ ضاع وتاه .

١٩٥٩

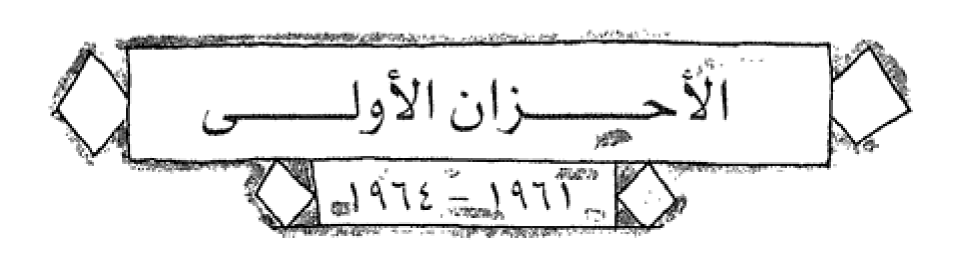


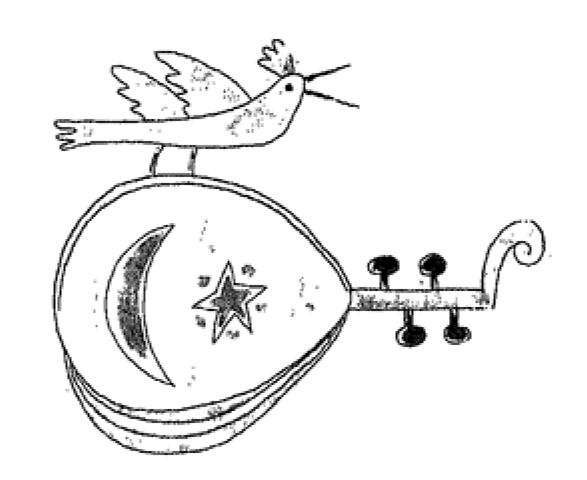
الإنسان والطبيعة

كطفلٍ ينَامُ في بُحيرَةِ اللَّبن
كنتُ يا صديقتي
أضربُ بيدي وقَدَمي
فيَتَطايَرُ رَشَاشُ الفرحِ الصافي ،
حينما رأيتهُ
يُدافع عن العقل الإنساني المتفرِّدْ ،
تثور في داخلهِ الحُمَمُ الغاضبةْ
على القرود والزواحف ..
وكل الحيوانات اللافقَّارية !

صغيرتي ..
إنه عالمٌ من اللهب البلوريّ ،
يتربع على عرشِه ذلك البطلُ الخسيسُ النبيل ،
ذلك التناقضُ المضحك :
الإنسان !

١٩٦٠


الأحــزان الأولــى
١٩٦١ – ١٩٦٤م



الكلمات التي لا تُولَد

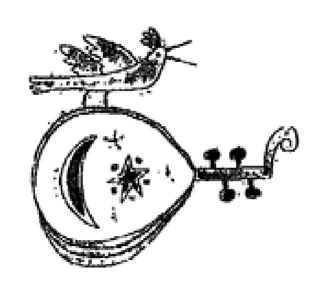
هل أمضغُ قلبي من حزني ؟
هل أفقأ عيني ؟
هل أصرخْ ؟
هل أُغرِقُ ذاتي في لُجَّة
وأُذيبُ النفسَ الحيرانةْ ؟
هل أبكي وأعفِّرُ وجهي ،
أتوسَّلُ يا ربَّةَ شِعري :
«كلماتي ترابٌ أُلقيه ،
كلماتي صُرَاخٌ في قلبي ،
ودُخَانٌ يُشعل في ذاتي
نارَ الحسراتِ الملعونة ؟»

«جولجوثا» * .. يا قُرَّةَ عيني ،
يا توأمَ قلبي وفؤادي ،
«جولجوثا» .. يا فلْذةَ كبدي ،
جئناكِ حملنا صبَّارا
وهشيماً تذروه الريحُ» .

* المكان الذي يُفترض، حسب العقيدة المسيحية، أن المسيح قد صُلبَ فيه .

لا تولدُ أبداً .. لا تولدْ
لا تولدُ إلا في العَتْمة ،
في القلب المقرور الأخضر
لا تولدُ إلا في الجمرة ،
في الدمِّ الأحمرِ .. في النارِ ،
لا تولدُ إلا منتصبةْ ،
تتصبَّبُ عرقاً ودموعاً
تضربُ في الجبل وفي الصخرة .
لا تولدُ أبداً وتغنِّي
بل تصرخ من فَرْط الألمِ
قد مُزِجَت بالحزن الأبدي .

١٩٦١



بُحَيْرَةُ الحَجَر

بحيرةَ الحَجر .. يا بحيرةَ الحَجرْ
أموتُ في ضَجَرْ ،
وتفرشُ السنونُ في فراشيَ السَّأمْ ،
وقلبيَ المضرَّجُ الحزينُ جالسٌ
يذودُ عن عيونه المَلالَ والسَّقمْ .

بحيرةَ الحَجر .. في غياهب الأسى
أمرُّ بالدخَانِ والذبابِ والعفنْ ،
فألعَقُ الصديد يا بحيرةَ الحَجرْ ،
وأشربُ الترابَ والدُّخانَ من خَوَرْ ،
جناحيَ المهيضُ لا يُعانقُ القمرْ .
ألوكُ حسرتي يا بحيرةَ الحَجرْ ،
فقلبيَ المضرَّجُ الصغيرُ عاجزٌ
يموتُ .. لا يخطُّ في الطريق من أثَرْ .

بحيرةَ الحَجر .. يا بحيرةَ السكونْ
لا تَهبُّ أي ريح في شواطئ العدمْ ،
غير أني جالسٌ يا بحيرةَ الحَجر
والدٌ من فمي حُلْمَ قَلبِ انهزمْ .

(أخضرٌ عالمي
أخضرٌ كالزَّهَرْ ،
أخضرٌ كالشتاء حين يأتي المطرْ .
فوق قبريَ الحزينِ سوف ينمو الشجرْ
سوف يغدو الرجالُ
سوف يأتي البشرْ .
أخضرٌ عالمي
أخضرٌ كالزَّهرْ) .

في الفضاء البعيدِ
هَمْسُ حُلْمٍ خَفَتْ ،
صوتُ قلبٍ يسير
مُسْلماً روحَه
داعياً بالمطَرْ
يا بحيرةَ الحَجرْ .

١٩٦١

الحسناءُ التي تُغنِّي .. والعقرب

في قلبي جلست حسناءٌ
تتغنى بالقمر الأخضرْ ،
وترتل كلماتِ هُيَامٍ
وتصعِّد نغماً للكوكبْ .
في قلبي تمسكُ حسناءٌ
ناياً سحريَّ النغماتِ ،
سالتْ مُهجتُها ألحاناً
ودموعاً حرَّى تسكُبها
فوق الأوراق الخضراء
كلماتٍ يحملها الجدولْ .

عصفوري الأخضرَ .. عصفوري
غرِّد واخطِر بالنغمِ ،
بلبلَ أحلامي .. يا بلبلْ
رتِّلْ للألمِ الصلواتِ ،
أوقدْ في المعبد شَمْعَاتكْ ،
واسكُبْ في المذبح دَمْعاتِكْ .

عصفوري الحالمَ .. عصفوري

بلبلَ أفكاري .. يا بلبلْ ،
بومٌ نعّاقٌ لا يرحم ،
رأسي ملآنٌ بالعقرب ،
يا ويلي .. هل لي من مهربْ .
أحلامي ما ضربت جِذْراً
يوماً في الصخر وما نبتت .
ريحٌ عاصفةٌ مسمومة
هَبَّتْ غطتها بالموتِ
تركتني أهذي .. أترنَّحْ .

عصفوري الأخضرَ .. عصفوري
بلبلَ أحزاني .. يا بلبلْ ،
كم كنتُ سخيفاً وقميئاً !
ما زال الدمُّ المنزوف
يصرخُ بالثأرِ وبالعدلِ !

١٩٦٢

الرحلة المجيدة !

هل عُدتَ يُوليسيس*
بزورقٍ شِراعهُ مُمزَّقٌ حزينْ
لأرضكَ الأمينةِ الرؤومْ
يا فارسَ البحار والقفارْ ؟!

هل عُدتَ يُوليسيس
لبينلوبي الجميلةِ الحنونْ ؟!
ألا تزالُ تغزلُ النسيجْ
أم تضاجع الرجال في الطريق ؟!
وما ثمارُ رحلتك ؟! .. وما الجَنَى ؟!
أحرفٌ سوداءُ تفرز الصديد !
من حلقكَ الكئيبِ تخرجُ الحروف
كامرأة

---

* يوليسيس بطل أسطوري يوناني ، قضى عشرين عاماً في رحلة العودة إلى جزيرته . وحسب الأسطورة ظلت زوجته الوفية بينلوبي تنتظره ، وحينما كان يتقدم إليها أحد للزواج منها كانت ترفضه ، متعللةً بأنها تغزل قطعة من القماش ، وأنها لن تتزوج إلا عند انتهائها من غزلها ، وكانت كلُّ ليلة تنقُض غَزْلَها حتى لا يكتمل .

في بطنها تود أن تمزق الجنين ،
لأنه من الزنى أتى
وفي الدُّخانِ سوف يعرف الأنينْ !

هل عُدتَ يُوليسيس ؟!
فيمَ اصطحابُكَ الرجالَ للسفر ؟!

(«لأنني أودُّ رؤية الإله ،
وأبصرَ الكمالَ والجمال») .

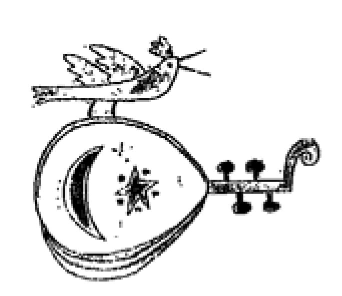
بل تافهٌ حقيرْ
محاولٌ من زيفه الفرار ،
وكاذبٌ سفيه
يصلِبُ الرجال فوق عُود قَشّ .

من شخصك الكريهِ لا مفر ،
فأينما ذهبتَ يا سفيهْ
حملتَ ما حملتَ من عَفَنْ ،
وأينما رسوتَ يا كريهْ
وقلتَ ما تقولُ من حِكَمْ
فكلُّها تموت كالجنينْ .

يُوليسيس

يا أيها الخسيس
الويلُ ، كلُّ الويلِ ، لو تعودُ للوطن ،
فالزوجةُ الحنونُ في مضاجع الرجال
تمضغُ اللُّبانْ ،
وفوق نَوْلها
قد خيَّم الظلام !

١٩٦٢



الحكمة

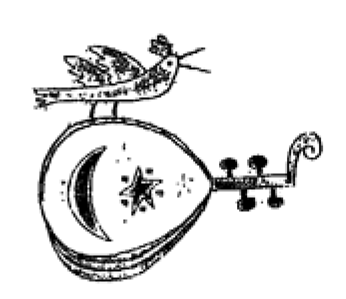
نظرتُ من شُبّاكيَ الصغيرِ يا أمير
عرفتُ طَلْعَتكْ
رأيتُ سَحْنَتَكْ
فسرتُ في الدروبِ كالفقير ،
أسائلُ الغريبَ : «يا غريب ..
هل مرَّ من هُنا أميريَ الصغيرْ ؟
عيونُه في زُرْقةِ المحيطِ يا غريبْ
ووجهُه كطَلْعةِ القمرْ ،
يسيرُ في رشاقةِ الغزالِ يا صديقْ
من خلفهِ القلوبُ تستبقْ ،
في كهفهِ نودُّ أن يسومَنا العذاب
ويعصرَ الزيوتَ من عيوننا ،
ونأكُلَ الزَّقُّومَ يا غريبُ .. نأكُله .
وبعدَها نسيرُ ..
في أكفِّنا القيودْ
عيونُنا رَصاص
وشعرُنا جَليدْ
وقلبُنا الصغيرُ يا غريبُ يُحْتَضَر ،

نتمتمُ الدعاءَ للأمير .. نلعنُه
نتابعُ الخُطَى في الدروبِ نلحقُه ،
وجئتُ أسألُكَ
عساكَ قد لمحتَ طَلْعَتَهْ» .

– «ما مرَّ من هُنا ، يا فتاةُ ، صاحبُكْ» .

فسرتُ في الدروبِ كالفقير
أميريَ المدلَّلَ الصغير !

١٩٦٢



السكون والحركة

ألقيتَ «الفُرْشَةَ» يا مولاي*
وجلستَ على الكرسيِّ الأخضر ،
وتجشّأت
وتثاءبت ،
لكنَّ «الجيوكندا» لا زالت مبتسمة
لا تمحو بسمتَها أقدامُ الأجيال !

اليدُ الشاحبةُ أشارت للجُوقَة** :
غنِّي أحزانَ العصر المقرور !
وانصرفَ السيدُ للغزَل .
لكنَّ مجوسَ الأنغام
ما زالوا في رحلة موت وحياة :
«الدربُ طويلٌ يا صَاحِ .. والبردُ شديد» !

«هل عاد فتىً من أرض الموت
ليحُلَّ لنا لُغزَ الظلمات ؟!»***

---

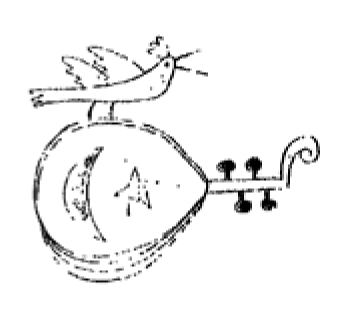
* ليوناردو دافنشي ، صاحب لوحة «الموناليزا» التي يُقال لها «الجيوكندا» .

** ت . س . إليوت ، صاحب قصيدتي «الأرض الخراب» و«رحلة المجوس» .

*** تنويع على سطر من مسرحية **هاملت** لشكسبير .

خمدتْ عاصفةُ الأحزان ،
والريفُ ملاذٌ للكهلِ .
هاملت .. ما زلتَ أيا هاملتُ في الصفحات
بالحزن تغني .. بالموت وبالأبطال
«آهٍ .. لو ذبتَ أيا جسدي !»

١٩٦٢



أغنية إلى أمريكا

وهلّلي وكَبِّري
وباركي القَدَمْ ،
يمامتي يمامتي
يا قُبَّةَ الفَرَحْ ،
يا مسجدَ اليسوع
يا قمَّةَ الألمْ ،
يا شُعلةَ الضياءْ
يا مَرْفَأ الأملْ .

وعارياً وحافياً وجائعاً أتيتُ
يَلُفُّني التيَّارُ كي يُدمِّرَ العَفَنْ ،
وجئتُ .. فوق رأسي من الزهور تاجْ ،
وسرتُ في الطريق
السابِع اللعينْ :*
يا بلدةَ العبيدْ
يا وردةَ الحديدْ
وشارةَ الحِدَادْ ! ١٩٦٤

* الطريق السابع هو الطريق الذي تتركز فيه شركات الإعلان والأزياء.

البروليتاريا الأمريكية

ولماذا نَكدُّ ونَكدح
والأهراءُ بالقمح مكتظة ،
والعصفور
مُتخَمٌ من لقط الحبوب ،
فلماذا باللهِ نقرعُ الطبولْ ؟!

والسَّمْنُ في القدور ،
أما الكُروم
فهي محفوظةٌ ومثلَّجة ،
فلماذا باللهِ ننفخُ البوقْ ؟!

وفي الصباح
حينما نسير في جنازة الحياة ،
تكون الأضواءُ حمراءَ وخضراءَ وصفراءْ ،
فنمرح ونمزح ثم ننام في الشّق ،
فلماذا باللهِ نُشعلُ النارْ ؟!

١٩٦٤

المأساة والملهاة !

البعث

القديمُ ماتْ ،
وزهرةُ الزهورِ بالنَّدى تجيءْ
لتضربَ الجذورَ حول قلبيَ الجريحْ .

تاج الحياة

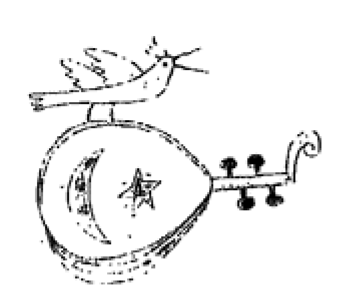
الرملُ قاتلٌ ،
وقمةُ الثلوجِ ليس منها أَوْبةٌ .
حذارِ يا غريبْ :
فالتاجُ والذهبْ
وكلُّ ما حصدتَ من بُقول ،
تضيع في الثلوجْ !
أقولها .. حذارِ يا غريب !

اعرفْ ذاتَك

في الهُوَّةِ السوداء قد نظرتُ
عسايَ أن أبلِّلَ الصَّدَى ،
عسايَ أن أحُلَّ لغزَ معبده ،
فزلَّتِ القَدَمْ .

وزهرةُ الزهور
تجيءُ من جديدْ
لتنزعَ الأشواكَ من أقدامِ رحلتي ،
وتَنثُرَ الزهور فوق قلبيَ الجريحْ .

١٩٦٤



الرحلةُ والنَّغَم

إلى التي وُلِدَت في الرابع من أغسطس عام ١٩٦٤

الرؤيا

وبينما محمدٌ في غارِه حزينْ
يا لُجَّةَ الضياء قد أرجفتِ قلبَه ،

وبينما دماؤه تبلِّلُ الصليبْ
أقبلتِ بالعزاء للمسيح فانتصرْ ،

في الغابة الندية إللجيري قاعدٌ*
فطار كي يعانقَ الشموسَ والقمرْ .

يا إصبعَ الإله قد أقلقتَ مضجعي
أولدتَها حواءَ ثم مريما !

المواجهة

من نافذة الغيب نظرتُ
ثم بُهِتُّ :

* دانتي إللجيري ، الشاعر الإيطالي ، صاحب الكوميديا الإلهية .

هذا الشيءُ دقيقٌ دقيقْ
هذا النجمُ فسيحٌ رهيبْ
فيه الظُّلْمةُ والأضواءْ !

رحلة الزمن

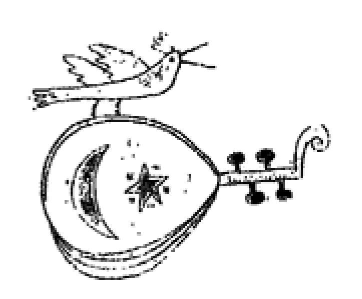
يا حارسَ البوّابة الشرقيةِ
انتبهْ ،
ولتُقرَع الطبول
وليُنشَر الشّرَاع
ولننزلِ البحارَ والوهادَ والقفارْ ،
ولنصعَد القممْ ،
وليبدأ الزمنْ .

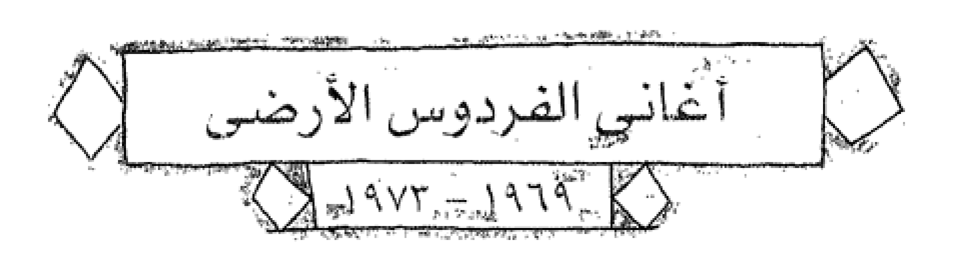
الرحلة والنغم

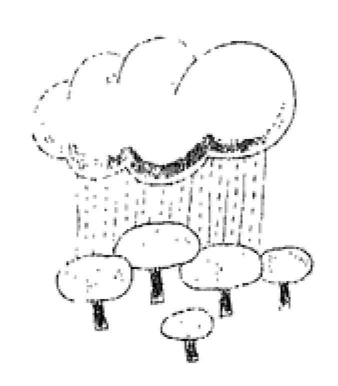
وجاء تني فتاةٌ في الظلام
ذَرفتُ الدمعَ فوق الوجه حزناً ،
وقلتُ : أيا فتاتي ما المصيرُ ؟
إلى أين السفينُ تسير أينا ؟
تألق فوق جبهتها ضياءٌ
فقمتُ وفي دروب الغد سرنا .

وعُدْتُ بلا جوابٍ للسؤالِ
بحيرتي الغريبةُ قد رجعنا .
فغرَدت الصغيرةُ للفؤادِ
وغرَدت الصغيرةُ ألفَ لحن ،
وكنتَ ، أيا نشيدُ ، عزاءَ قلبي .

١٩٦٤



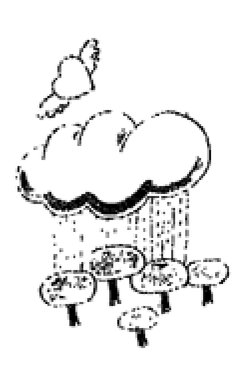

أغاني الفردوس الأرضي
١٩٦٩م - ١٩٧٣م



حِكَمٌ مِنَ الفردوس الأرضي

* في الكهفِ كلُّ الأسرار ، في السطحِ كلُّ العبث .
* مَنْ لا يَدخلُ الجحيمَ ، لا يرتادُ الجنةَ .
* كلُّ رجُلٍ يحملُ سيفاً يدخل الجنة .
* كلُّ مَنْ يدخل الكهفَ يدخل الجنة .
* كلُّ مَنْ يصعد الجبلَ ، يدخل الجنة .
* كلُّ امرأة تَلبس ثلاثةَ خواتِمَ في يُمناها، وخمسةً في يُسراها، تدخل الجنة .

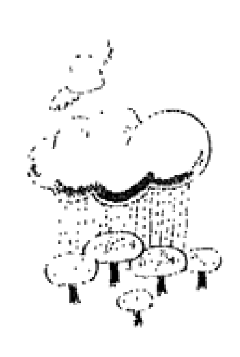
١٩٦٩



البركانُ والعصفور

حينما نظرتْ إليَّ بعيونها
وفي أصابعها خواتمٌ ثلاثةٌ ،
لفحتني ريحٌ حمراء
وثار البركان داخلي ،
ولكني آثرتُ السلامة
وقبعتُ داخل قُمْقُمِ الكلمات !

باللهِ .. كيف يُغرِّدُ العصفورُ فوق الشجرْ ؟!
١٩٧٠



من قاع المحيط إلى قمة الجبل

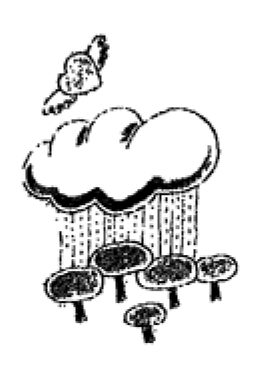
سمكةٌ أنتِ إذن في قاعِ المحيط
بقبة السماء الزرقاء تحلمين !
طائرٌ أنتِ إذن يُحلِّق وراءَ السُّحُب
ويحلُم بأعماق المحيط !
وحينما تجلسين يا عزيزتي
تحت الشجرة الخضراء
يهبُّ النسيمُ هادئاً كالصمت ساعةَ الغروب ،
ويغشَى عيونَكِ النُّعاسُ
وتحوِّمين بخيالكِ حولَ حقول الزهور ،
وتسيرين نحو التِّلال والأحجار والرمال الممتدة
حتى تصلي إلى المسافات الشاسعة التي ليست لها حدودْ.
حينئذٍ .. تلفَح قلبَكِ العواصفُ
وتشتَعلُ النيرانُ ،
فتحلِّقين كالصَّقْر الغاضب
نحوَ قِمَّةِ الجبل المهيب !

١٩٧١

النارُ والغناء

وحينما حملتُكِ بين ذراعيَّ
اندلعت ألسنةُ النيران
واكتست الأرضُ بالأعشاب والزهور
ثم استيقظ الوحش النائم .
وحتى العصفورُ الحزينْ ،
حتى العصفورُ الحزينُ
الذي كفَّ عن الشَّدْوِ منذ ألفِ عامٍ وعامْ ،
صَدَح ، هو أيضاً ، بالغناء !

١٩٧١



الألوان

اصبغيني بالأزرق ،
واشهِدي فيَّ السماءَ التي لا نهاية لها .

اصبغيني بالأحمر ،
وانظري
عيونَ الشمس الوهاجة ،
ثم اسمعي صياحَ الديك
قَلقاً
طَموحاً .

اصبُغينا بالأسود
ولندخل سوياً
في الهُوَّة
عسانا نُمسكُ القمرْ .
اصبُغينا بالألوان كلِّها
لنصبحَ في رِقَّةِ لون الطَّيفْ
في عُمقهِ .

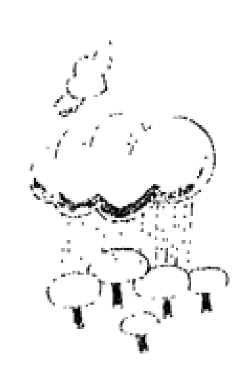
١٩٧٢

المدينةُ والزهرة

وحتى هذه المدينة ،
مدينةُ الضياع والأحزان ،
التي تمتد طرقاتُها ألفَ ألفِ ميل
وكأنها عنكبوتٌ خرَافيٌّ مخيف ،
والتي يحتضنها الجبل وكأنه ماردٌ رهيب ..
وحتى هذه المدينة
القاسيةُ العنيدة ،
التي استعصت على الغُزَاة والفاتحين ،
ووقف أمامَها البطلُ المغوليُّ ، والقُرصَانُ الشماليُّ ،
والبدويُّ الذي لا يعرف إلا عددَ الرمالِ والنجوم ..
وحتى هذه المدينةُ الصماءْ
التي تحيطها الحجارةُ الملساءْ
كأنها الصمتُ الأبديُّ في مدينة النُّحَاس :
.. حينما قرعنا أبوابَها سوياً
صارت صغيرةً رقيقةً خضراء ،
طرقاتُها كممرٍّ صغيرٍ في حديقة بيت صغير ،
وجسورُها
مثل الجسور الخشبية في كتب الأطفال المدهشة .

وبعد أن صارت يا عيني
صغيرةً
دقيقةً ،
حملتُها لكِ على كَفِّي
فعلَّقْتِها في شعركِ الذهبي
دون اكتراث !

١٩٧٢



المقاطعُ الضريرة

ولِمَ الحديث
إن كانت الكلمات أحجاراً
ملساءَ مثلَ الحصى ؟!

ولِمَ الحديث
إن كانت الكلماتُ لا تفيض مثلَ النَّبْع
ولا تنسابُ مثلَ نهرٍ دافئٍ
يُلامس أوراق الشجر ،
كما في قصائد الشعراء ؟!

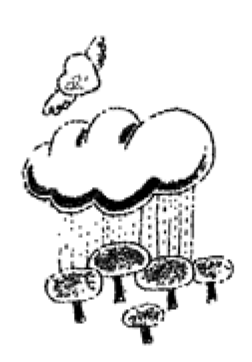
ولِمَ الحديث
إن كانت الكلماتُ جلاميدَ ثلجٍ تسحق الفؤاد
فيصيبه البكَم ؟!

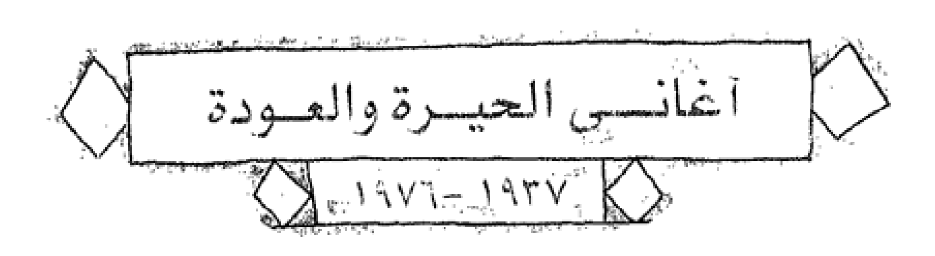
وحينما أنشبتُ أظفاري في فَخذِي
وفي فَخذِك
أبحث عن عروق الذهب ،
لم أجدْ إلا عظامَ الموتى
وترابَ الزمنْ !

وحينما هُرِعت إلى بُرْجِيَ العاجيِّ
أبحث في المعاجم والمجلدات
وأسأل الحكماء والفلاسفة
ولدت المقاطعُ ضريرةً .. يا عيني !

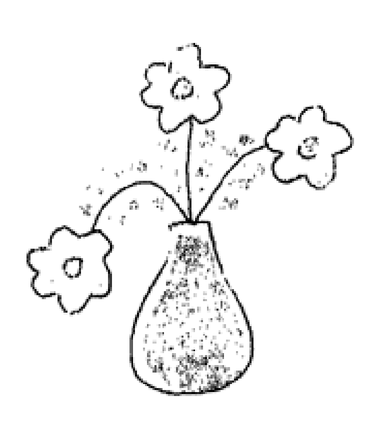
فلِمَ الحديث ؟!

١٩٧٣





آغانــي الحيــرة والعــودة
١٩٣٧-١٩٧٦

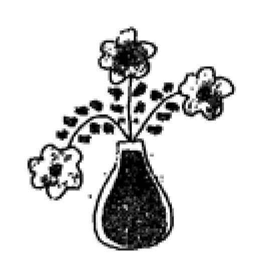


حالٌ لم تَحِنْ!

حينما صَعد الشيخُ المنبر
وقف ثابتاً كالتمثال
مَهيباً كالمئْذَنة ،
فركزت كل حواسِّي ومشاعري .

لكنكَ
يا طائرَ الفردوس الذهبي ،
لِمَ لَمْ تحطَّ على كَتِفيَّ ؟!

١٩٧٢



الصفحةُ البيضاء

وماذا أفعلُ .. إذا كانت الشرارةُ
تَبْرُقُ داخلَ عقلي
فتتفتَّحُ أبوابُ السماءِ التي لا سقف لها
وأرى الخلودَ الأشيبَ ؟!

وأُمسكُ الحبال ،
وأتسلَّقُ الأسوار ،
وأنظرُ من كل النوافذ والشُّرُفات ،
وأسيرُ في الشوارع الخاوية
على الصفحةِ البيضاء .

وأُمسكُ .. وأُمسكُ
وأُمسكُ .. وأُمسكُ ،
وأسيرُ على الصراط المستقيم .
أحملُ في عقلي آلافَ الأفاعي والثعابين ،
ولا أجدُ في صفحة يدي البيضاءِ سوى العدمْ !
١٩٧٣

ربّاتُ الشِّعْر

في مسامعي النَّغَم
والطريقُ
مُنسابٌ كذراعيكِ ،
وربّاتُ الشِّعرِ ينسجنَ لي في الأعالي ،
فلقد وَلَّد الشاعرُ كلماتٍ جديدةً ،
تستمد نورها من ربَّة الشعرِ
ومن عيونكِ .

صغيرتي :
لقد زال عني الزُّكام وضيقُ النَّفَسْ
دون اللجوءِ إلى أدويةِ القرن العشرين ،
رُغْم أني من المؤمنين بالعِلْم
وبقوانين الحركة ،
ولا أومن بما وراء المادة !

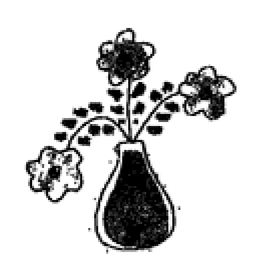
١٩٧٤

أحلامُ العروبة

يأتونني كلَّ ليلةٍ
بعد أن أهجَعَ إلىَ فراشي
بعيونهم البرَّاقة
ولحاهم المدبَّبة
تلك الوجوهُ العربيةُ القديمةُ الوضَّاءة .

حينئذٍ
احملني بجناحَيكَ القويين
يا طائرَ أفراحِ المستقبل .

١٩٧٤

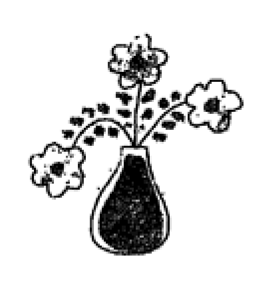


مدينةُ الله

ألمح العيونَ السوداءَ
والأيديَ الناعمةَ البيضاء
التي ستعانقني حينما أصل إلى مدينة الله .
وأرى أيدي الأخطبوط تعصرني
وتقودني إلى النبع الأسود ،
وعقاربَ الساعة تدور .. تعصر قلبي .

طويلٌ هو الطريق المؤدِي إلى خارجَ الجحيم ،
مُملٌ كالأحاديث العادية .

١٩٧٤



أغنيةُ الوصولِ والوَصْل والوِصَال

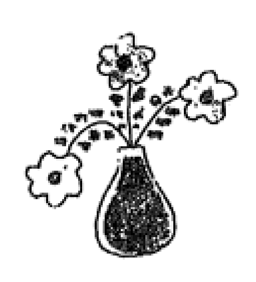
جـاءني في حُـلْمي ، لابسـاً عَـبـاءته ، ملتـفّـاً بـالسُّـحُب ، فشكوت إليه بؤسي وحزني ، وأخبرته عن جُرْحي ، وعن قلبي الذي لا يسأم الطيرانَ والتحليق ؛ فابتسم .. ولم يقل شيئاً !

وحينما جاءني النبيُّ – صلوات الله وسلامه عليه – مرةً أخرى ، انفجرتُ باكياً ؛ فابتسم ، ثم سمعت هذه الكلمات :

«ابن آدم .. في مركز العالم فلتقفْ ثابتاً ، لا تتزحزح ، فقد استخلفكَ اللهُ في الأرض» .

فانفرجت أساريري ، ولم أخرج من الحُلْم !

١٩٧٥



الدَّمُ والقِنديلُ القديم

هأنذا أعود مرةً أخرى يا قُدسَ الأقداس :
لا أحمل ريش الطاووس
ولا عُرفَ الديكِ الأحمرَ القاني
في لون نوافير الدم الدفَّاق ،
ولا أحمل الحُسَام المهنَّدَ
يلمعُ في ضوء الشمس لمعاناً
يُحرقُ الجسد
ويَخِزُه وكأنه إصبع الإله .
ولا يتدفق الشلأل
الذي يحمل الأوراقَ والأشجارَ والصخورَ
والجبالَ والصحارى .

وإنما أعود
أحملُ القنديلَ القديم ،
أو خنجراً
كان يعلقه أحدُ الشيوخ على حائط بيته الصغير
ينظر إليه
فتبرُق الشمسُ بغتةً
فيستغفر الله !   ١٩٧٥

العــودة

هـأنذا قد عُدتُ يا قُدسَ الأقداس :
لأقف فيكَ
وأتعبد .
هـأنذا قد عُدتُ
بعد طول بعاد
لألبسَ عَباءةَ الغناء
وأمسكَ النجومَ والهلال .

أعودْ
رُغْمَ كلِّ الأنواء والعواصف ،
كدورة الطبيعة .. كما القمر .
أنا الإنسان ..
في المركز أقف بعنادٍ
كالطفل الصغير
لا أتزحزح ،
أغني للحب والجهاد
وللحياة والموت .
هـأنذا قد عدتُ .. يا قُدسَ الأقداس !

١٩٧٥

أغانٍ عثمانيةٌ في استانبول

ليلة القدر والرحيل

«ليلةُ القَدرِ خيرٌ من ألف شهر» .

.. ثم أقلعت الطائرة .
غمغم المضيفُ عن أحزمة النجاة
وأقنعة الأُكسجين ،
وحلَّقتَ بنا في السماء يا طائر السَّعد .
ومن النوافذ كانت ترنو إلينا الملائكة
بعيونها البريئة الفَرِحة
تتلو القرآن وتَرْجُمُ الجنَّ ،
آهٍ .. يا قبةَ الصفاء والسكينة !

«سلامٌ هي حتى مطلع الفجر» .

دار السلام

هأنذا قد عُدتُ يا دار السلام
أقرع بواباتِكِ القديمةْ ،
أدخلُ .. تحتضنني الأعينُ الرحيمةْ
تلفُّني بالدِّثار

تُدفئني ،
فأفترشُ الأرض
وألتحفُ السماء .
أعود وقد أعياني التَّرْحالُ في دار الحرب ،
كاليتيم أعودُ يا دارَ السلام .

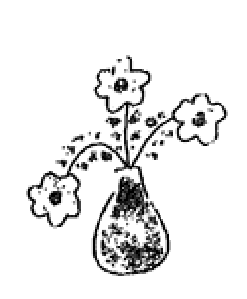
وحينما قرأتُ الفاتحة
أمام مقام سيدي أبي أيوبَ الأنصاري ،
وحينما صليتُ في مسجد الفاتح ،
مرَّ من أمامي جندُ المسلمين :
أبصرتُهم مرابطين في صمتٍ تحت أسوار بيزنطة ،
ورأيت البيارقَ والمنارات
ترتفع شامخةً يا دار السلام .

على قبة المسجد
قرأتُ سورةَ النور ،
وفي ركن المسجد القصيِّ
عجوزٌ يرتِّلُ القرآن
لا يعي ما يقول !

الوَجْدُ الإلهي

وحين طرقتُ بوابتَكِ العتيقةْ

طالعني وجهُ الحبيب ،
وحينما دَلفتُ إلى الغرفة الخبيئةْ
وجدت منقوشاً على قلبكِ
«محمدٌ رسول الله» .
وحتى حينما رأيتُ قدميكِ
تتحركانِ على إيقاع موسيقى الجاز
لم أرَ سوى دراويشِ قُونية
يدورون
وقد شَفَّهم الوَجْدُ الإلهيّ !



الفتح والحزن

أحملُ سيفَ الله ،
أركضُ مع الجند على فرسي ،
أقتحمُ بواباتِكِ آيا صوفيا .
الله أكبر !
جئتُ لأحطِّمَ الأوثانَ القديمة
وأموتَ شهيداً يا رسول الله .

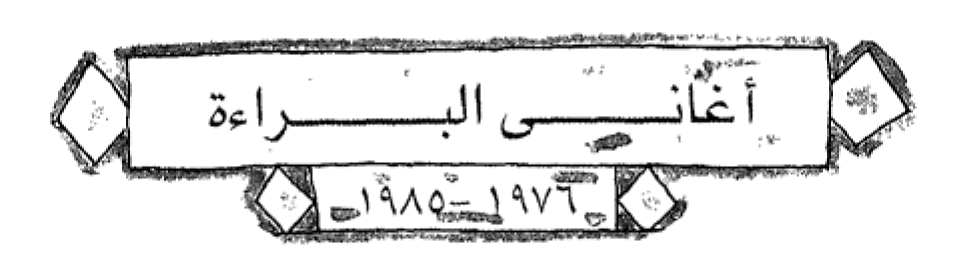
ولكنكِ تأتينني أيتها التصاويرُ البيزنطيةُ الحزينة
تنزلين ببطء وسكينة
وتصُبِّين في أذني تراتيلَكِ الكنسيةَ ،

فأُقيمُ الصلاة
خاشعاً كسيرَ الجَناح !

الفرار في صحراء الثلوج !

وطالعني وجهُ الحبيب
مبتسماً حنوناً .
على يمينِه مكةُ المكرَّمة
وعلى يسارِه المدينةُ المنوَّرة ،
وعند قدميه
خَرَّت مصرُ ساجدةً لنورِ الله .
وحينما ألقىَ بشِبَاكِه
وقعت تركيا في إساره .
ولكنها يا ولدَاه
فرَّت
هائمةً شريدةً
في صحراء الثلوج !

١٩٧٦


أغانـــي البـــراءة
١٩٧٦-١٩٨٥







الفتاةُ والمدينة

من الصغيرة كولا* إلى مدينة كيرينا

وماذا أفعلُ يا مدينة ؟
من وراء قضبان نافذتي
أنظرُ فلا أرى سوى عيونكِ الناعسةِ الحنون
ونوافذكِ التي تُفتح في الصباح وتُغلق في الليل .
وحتى حينما أُغمضُ عينيَّ يا كيرينا

أو أصعدُ إلى قمة أوليمبوس** ،
فإني لا أرى سواكِ
مضطجعةً على أريكتكِ
في استرخاء
وكأنكِ أميرةٌ عثمانيةٌ غلَبها النُّعاس .

يتيمةٌ أنا يا كيرينا
وأنتِ من غيري يتيمة !

---

* «كولا» طفلة يونانية قبرصية كانت تعيش في مدينة كيرينا ، التي تقع الآن في المنطقة التركية .

** قمة أوليمبوس كان فيها مَجْمَع الآلهة ، حسب الأساطير اليونانية القديمة ، وتوجد في قبرص .

من مدينة كيرينا إلى كولا

تُفتح النوافذُ ثم تُغلق
ويغلبني السأمُ والمَلل .
وحتى حينما يخفِقُ قلبي بسبب الزمان القديم
فأنا مثل «البوذا» يا كولا
لا أعي إلا ذاتيَ أو أسواريَ العالية .
وحينما أنظرُ إلى عيونكِ الحزينة
تنظر إليَّ عبرَ القضبان
والرشاشات ،
وحينما أنظر إلى نهديكِ المستديرينِ
أو إلى وجهكِ الطفوليِّ البريء ،
فإنني لا أسمع سوى خطوات الزمان الرتيبة
ولا أرى سوى يدِ ملاك الليل تُوقد قنديلَ المساء .

فريدةٌ أنا يا كولا
وأنتِ من غيري يتيمة !

١٩٧٦

أغاني الحادثة

الملل والبراءة

يعلو الجدرانَ الصدأُ
وتمرُّ العجَلةُ على الرِّقاب
بطيئةً رتيبةً ..كريهةً صَدِئة .
وفي الأفق
يحوِّم ثعبانٌ سخيف ، عيونُه باهتة .

ولكننا حينما افترشنا بقعةَ الضياء ،
ولدتْ في عيوننا قممُ الجبال ومياهُ الأنهار ،
وفي أناملنا تعالى صوتُ الغدير
رقيقاً هامساً
صامداً ،
وطارت الكلماتُ طيوراً مجنَّحةً
لا تحطُّ على الأرض .

آهِ يا لحظةَ الفرح الفريدة !
.. وهكذا ، يا عزيزتي ، تولد البراءة !

الصمت والمعنى

في البدءِ كانت البداية ،

وفي النهاية ، كما تعرفين ، النهاية .
ولكنني أقف معكِ ،
وحيداً
أمامَ قمة الجبل الصامتة
لا نتحدث ولا نهمس ،
فالصمتُ ، يا عزيزتي ،
يَهْدِرُ بالمعنى ،
يموج بالحزن وبالفرح ،
وكالخلود ..
لا بدايةَ له ولا نهاية !

الكون والبراءة

وهكذا ..
نصعدُ ثم نهبط
نحيط بالكون والكينونة ،
وحينما ننظر حولنا
لا نرى إلا عيونَ الأطفالِ الواسعةَ البريئة .

الحب القديم

الجبلُ مَلِكٌ قديمٌ
ساكنُ الوجهِ ، قاسي الملامح .

والأشجارُ رشيقةٌ عابثةٌ مزركَشة
كسيداتِ البلاط .
والنهرُ
يسعى عند القدمين
كفلاحٍ عجوز ، يسير لا يلوي على شيء .
أما أنتَ يا مَسْقَطَ المياه
فصلبٌ رقيقٌ ،
جميلٌ مهيبٌ ،
كملكة تقود الجيوش
وتبكي في صمتٍ .. من أجل حبها القديم !

الصمت الأخير

حتى الطيرُ كفَّ عن الغناء ،
حتى الفَراشُ حطَّ على الزهور ،
والأشجارُ وقفت صامتةَ الأوراق .
وفي السماء
أطلت السحب من شرفاتها ،
وأنينُ المرضى وبكاؤهم
كفَّ عن الصعود .

انظرْ ..

ها هي ذي الأميرةُ مولتينوما*
تخطو على حافة الجبل
تُلقي بنفسها
تهوِي ..
تسقطُ ..
تصعدُ في أحضان الكائن العظيم ،
ثم تنبجسُ أيها الينبوع دفّاقاً
لا تلوي ،
وكأنكَ خطواتُ الأميرة .

١٩٧٦

---

* في الأساطير الهندية الأمريكية القديمة حدث أن تفشى المرض في إحدى القبائل، ولم يتوقف إلا حينما ألقت الأميرة مولتينوما Multinomah بنفسها من شاهق، لتُرضي الآلهة؛ فانساب شلأل رقيق في نفس المكان.

أغاني البراءة الخالصة

الراهبـة

راهبةٌ أنتِ يا عيني
راهبةٌ في ثوب العروس .
وحين أغوص في العيون الضاحكة الحزينة
أحاول فكَّ الطِّلَّسمْ ،
وحين أحاول أن أشرب من البئر العذراء
حتى أرويَ شيئاً من عطشي ،
َتصْهِلُ الخيول داخلي
ويصيح الديك
وتضطرم المحيطاتُ
وتَهُبُّ الأعاصير .
ولكنَّ البدرَ يا عيني
يصعدُ في هدوءٍ ويقين .
وحين تطبعين على خدي قُبْلةً
أنام كآدمَ في أول ليلةْ !

الأمــــيرة

وفي الصباح

حين سرتُ معكِ في المدينة الصغيرة القديمة
التي غُسلتْ طرقاتُها لاستقبالك ،
والتي علّق أهلوها الورودَ ترحيباً بكِ
وطَلَوْا أبوابَها بألوانِ الحُلْم ،
وصلنا إلى معبدٍ مصنوعٍ من الحلوى
داخلُه أطفالٌ من ورق ،
وصافحنا الكاهنَ ، وجلسنا على العرش .
أميرةٌ أنتِ ..
وأحاول أن أكون الأمير .
وحينما صَعِدت أناشيدُ الزِّفاف
عرفنا أن الوقتَ قد حان .
فصعدنا على الجسر المؤدِّي إلى السماء ،
وغنَّت جُوقة الأطفالِ أحلامَ البراءة
والحبِّ القديم ،
ثم غَربَت الشمسُ يا أميرتي
آهٍ .. ثم دَقَّت النواقيس!

الطفلة العجوز

كالأطفالِ كنا .. كالأطفال
نصلُ إلى حدود الدنيا في قطارٍ من خشب ،
نصعَد على قَوسِ قُزَحَ

ونهبطُ على النجوم .
كالشيوخِ كنا .. كالشيوخ
نغوصُ في ظلمة الليل
وتُعشِي أنظارَنا الشموس
ونتحدثُ مثل الفلاسفة .
كالملائكة كنا .. كالشياطين
نصعدُ ونهبطُ
ندخلُ الفِردَوس ثم ندلِف إلى الجحيم .
وحينما صنعتُ لكِ من أحلامي وردةً
طرحتِها جانباً ،
ألقيتِ بها في سلة المهملات يا قاسية ،
ثم علَّقتِها على بوابة قلبك !

الأسطورة والتاريخ

أنت كمدينةٍ في الأساطير :
قلاعُها شامخةٌ ،
بروجُها تصطدم بالسحاب ،
تتداخلُ ألوانُها وكأنها الحُلْم ،
وتصعد منها أنغامٌ لا يعكِّر صفوَها جوعُ الملايين !
١٩٧٧

وحينما أتوقُ إليكِ ..

وحينما أتوقُ إليكِ ،
لا أدري
هل أرتِّبُ الزهورَ والنَّغَم
أم أعزفُ المراثي ؟!

وحينما أتوقُ إليكِ ،
أجلسُ في الحديقة الخضراءِ والفراغِ
صامتاً ،
أخبِّئُ الأغانيَ والأناشيد .

وحينما أتوقُ إليكِ ،
لا يفيدني الرأيُ أو الرؤى ،
ولا يبقى إلا الرثاءُ
والحنينُ إليكِ .

١٩٧٧



في الغناء والصمت

أأعزفُ النَّغَمْ
وأنطق الحروف .. ؟!
أم أن الصمتَ
وقورٌ كقمة الجَبلْ ،
عميقٌ كلُجَّة النَّهَرْ ،
جميلٌ كعيون طفلٍ أسودٍ
ينظرُ إليَّ في دهشةٍ ،
مهيبٌ كامرأةٍ إفريقيةٍ فارعةِ الطول
تحمل الجَرَّةَ على رأسها
وتسير كأنها من الآلهة القديمة
التي هجرت الأرض ،
رقيقٌ كألوان ردائها ،
عنيدٌ كشمس صحراء الصحاري ،
غامضٌ مثل فرسان الطوارق ،
وصامتٌ كأبجديتهم .. ؟!

أأنطقُ الحروف
أم أن الصمت .. ؟!

١٩٨٢

أغنيةُ حُبٍّ للمرأة الصامتة

وحينما أنظرُ إلى الصحراء الساكنة
الخاشعة
حيث يختلط العدمُ بالفراغ ،
حينما أنظرُ إلى السكون والسكينة ،
وإلى الصفاء الذي يتسع ويتسع ،
فأغوصُ فيه وكأنه بحيرةُ الله المسحورة
لا يؤمُّها إلا الشهداءُ
والقديسون ،
أنظر فأرى منارات المساجدْ
وأبراجَ الكنائس ،
والجيوشَ التي تَحملُ البيارقْ ،
والجنودَ الذين يَخِرُّون صرعى
فتنعكس أشعةُ الشمس القاسيةُ في عيونهم .
أرى القائدَ الذي انتصر .. فجلس يشرب نَخْبَ المعركة والفرح،
وذاك الذي انهزم .. فجلس في خيمته

– في الظُّلْمة الحالكة –
يَسْطُر الحرف الأخير .
حينما أنظر إلى الصحراء أيتها المرأةُ الصامتة
فإنني لا أرىَ سوىَ الصمتِ .. وعيونكِ !
١٩٨٢

في مديح الرسول

أجلسُ بين تلال الورق
وكُثْبان الرمل ،
يمتد أمامي السجَّادُ الصناعيُّ البارِدُ
والموائدُ العارية
وأحجارُ الجبال الجرداء ،
فأرى الوجوهَ والعيونَ والآذانَ والأظافر ،
وتلفحُني موجاتُ الصوتِ
والرياحُ الحارقة .

حينئذٍ – وكأنني وصلت إليكِ .. أيتها الشجرةُ
الصوفيةُ الغامضة
التي نبتتْ وحيدةً في الصحراء –
تنبجس في قلبي نافورةٌ صافية ،
قديمةٌ قديمة ،
ولا أرى إلا وجهكَ .. يا رسولَ الله !

١٩٨٢

ثلاثُ مراثٍ لإخناتون

قطٌّ صغيرٌ رشيقٌ يجري ،
وثعلبٌ قابعٌ في فروهِ البُنيِّ السميك* ،
رأيتهما فابتسمت .
ولكن حينما رأيتُ
يا إخناتونُ ما رأيتُ ،
وحينما سمعتُ ما سمعت ،
ذَبُلت في قلبي الزهورُ اليانعة ،
وهطَلت على قلبي سحابةُ الأحزان .

هذه هي الحياةُ إذن ؟
هذا هو الميلادُ
والموتُ ؟ ولكن ..
أين ذهبتَ يا إخناتونُ ، أين ؟!

في إحدى ليالي أحزاني الطويلة

---

* بعض الأشكال المرسومة على حائط مقبرة إخناتون في «بني حسن» في المنيا .

نظرتُ إلى قبةِ السماء البلورية
فرأيتُ النجومَ متناثرةً مثلَ حبات اللؤلؤ !
إلا واحدةً .. كانت ساطعةً ساطعة ،
مثلَ قرص آتون .

١٩٨٣



لحظةُ النموِّ والفناء *

وكنتُ أجلس في شرفتي
أنظرُ إلى النجوم والرمال
أعُدُّ الأيامَ والدراهم
وأتحسَّسُ شَعرَكِ الخياليَّ ،
وأتساءل : متى ألقاكِ ؟

وكنتُ أجلسُ ،
أتأملُ في اللحظة العابرة
وفي السكونِ الساكن ،
في النارِ والنور ،
في لحظة النمو والفناء ،
أعُدُّ الأيامَ والدراهمَ
كي ألقاكِ .

وها أنتِ ذي يا زهرتي

* يوجد في الصين نوعٌ من نبات البامبو (البوص) يظل ينمو طوال تسعة وثلاثين عاماً، وفي عامه الأربعين تنبت فيه زهرة ملوَّنة .. وحينها يموت !

وتذوين في الأفق ساعة الغروب
دون أن ألقاكِ .

ولكنني ، يا صديقتي ،
سأُسرعُ الخُطَى نحوَكِ ،
أُسرعُ الخُطَى في الفضاء الأبيض الرهيب ،
وفي حقول النمو والفناء
حتى ألقاكِ .

١٩٨٤



إليهمـا

لا تحزن !

أجلسُ كلَّ صباحٍ في شُرفَتي
فتفتحُ الزهرةُ الحمراءُ عيونَها
ويحطُّ الطائرُ الذهبيُّ على كتفي
ثم يغنِّي بصوتٍ مرتجفٍ : «لا تحزن» .

الفرح والوَحْدة

كالأسماك أنتما .. كالأسماك
تسبحانِ في الماءِ ياطفليَّ ،
وأنا على الحافة أقف .. وحيداً !

ألوانٌ أربعة

أزرقُ وأخضرُ وأبيضُ وأسودُ
هذه هي ألوانُ مصر .

أزرقٌ وأخضرٌ وأبيضٌ وأسودُ
هذه هي ألوان قلبي .

حينما أقفُ في وسط الزرقة

أرى الأبديةَ والقداسة .

وأقف في البقعة الخضراء
فأتذكرُ الفردوسَ الذي فقدتُ ،
وأحلُم بالفردوسِ الذي إليه سأعود .

وحينما أنكر عيونكم
تلك العيونَ البريئةَ العميقة
تموجُ كلُّ الألوان وتتداخل
لتصبح لوناً واحداً ،
لونَ الحُزْنِ والقداسة
لونَ العُمْقِ الذي ما له من قرار !

غناءُ قَوسِ قُزَحَ

حينما رأيتُ قَوسَ قُزَحَ في السماء
سرتُ إلى أن وصلتُ إلى قمته وجلست ،
وبألوانه الكثيرةِ كتبتُ اسميكما :
فصدحتْ الملائكةُ بالغناء .

الضحك والصمت والملائكة

حين أطالعُ وجهيكما خلف القناع ،
قناعِ الضحكِ والصمتِ والسكون ،

أنظرُ يا صغيريَّ
فأرى الصحارى الساكنةَ الميتة ،
والطرقَ التي لا تعرف الله ،
وجبالَ الملْح والقصدير
التي يحوِّم فيها العقرب
وتجري فيها الذئابُ والأفاعي ،
وأشباحاً بلا رءوس
ورءوساً بلا أجساد .
ولكنني أرى في نهايتها
نقطةً صغيرةً
تتسع رويداً مثل حَدَقة السِّرِّ القديم ،
فيغمرُ النورُ الدنيا
وتعمُّ الكونَ السكينةُ ،
فنعرفُ أن اللهَ حقٌّ
وتضحكُ في قلوبنا الملائكةُ والأطفال !
١٩٨٥

إليهـــا

مثل الكون

ساكْتبُ إليكِ قصيدةً
كلماتُها من ترابِ النجوم ،
أعجِنُها وأخبزُها في أتُون قلبي
حتى تقفَ الكلماتُ منتصبةً مثلَ الكون .

الكلمات والحقيقة

كيف تصنعينَ من الشوكِ الورودَ
ومن الكلماتِ الحقيقةَ ؟!
وكيف تنظرينَ إلى حقيقة الأشياءِ ؟!

يداكِ والمطلق

حينما أجلسُ على حافة الحُلْم
بين الظِّلِّ والحقيقة ،
أُمسكُ بالطَّيْف
وأصافحُ يديكِ والمطلقَ .
ولا أدري ..
أضاقَ المكانُ أم اتسع ؟

أَنْعَدَمَ الزمانُ أم أصبح الأبدْ ؟
وهل يمكنُ أن تكونَ ، يا عيني ،
قمةُ الجَبلِ ، الفرحةُ الشامخةُ ،
هي ، ذاتُها ، الواديَ الحزين ؟!

النفس المطمئنة

جلستُ اليومَ في صحراءِ الثلوج
تَلْفَحُني العواصفُ الغاضبة
وتَحُطُّ عليَّ أحزانُ الزمانِ بكَلْكَلِها ،
فتغيب النجومُ والشموسُ والأقمار
وراءَ سُحب كثيفةٍ من المسافات والأكاذيب .

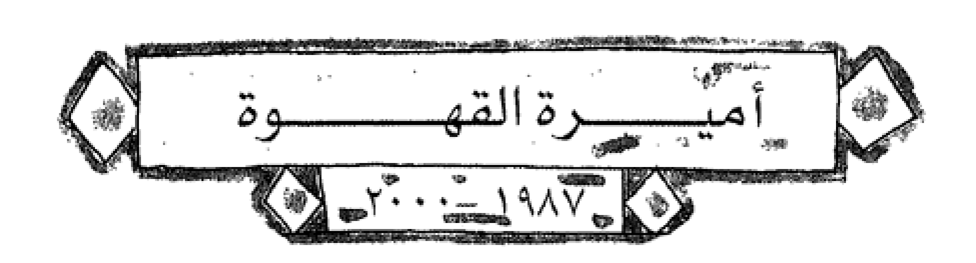
ولكن حين ذكرتُ اسمَ اللهِ
سطعَ وجهُكِ
جميلاً
مشرقاً
كشمسٍ وليدةٍ في يومِ الزفاف .

كابتسامة صبيٍّ
غابت أمُّه عنه في السوق ساعاتٍ وساعاتٍ
ثم عادت ،
فأمسكَ بيدها .. وحَمِدَ الله !

كصمتِ دليلِ القافلة
ضاعَ بين الجبال دهرينِ
يَسيرُ بلا هُدًى
يَطِنُّ بين ضلوعه الوَسواسُ الخَنَّاس
يَبُثُّ الظُّلْمةَ في صدور الناس .
فاستعاذَ باللهِ وسار ،
وبغتةً رأى المدينة :
صغيرةً منيرةً
تنامُ في حِضْنِ الوادي كالعروس .
فتقدمَ .. ولم ينطق حرفاً !

١٩٨٤




أميرة القهوة
١٩٨٧ـ ٢٠٠٠



أغنيةٌ إلى البنتِ النَّفُوض :
سيرةٌ شبه ذاتية شبه موضوعية

قبل الميلاد

ملاكٌ صغيرٌ ، لم يُولَدْ بَعْدُ ، رفرفَ علينا
أشارَ إلينا وابتسم ،
دَسَّ في أيدينا حلوى ونجوماً وأسراراً
ثم بكى ،
وبعدها .. في القلب غاب واختفى !

الطفولة

بزغت الشمسُ ثم غابتْ
ألفَ مرةٍ ومرةٌ ،
ونحن في ظِلال أشجار الزيتون الأزليّ
جالسان لا نلوي على شيء ، نثرثر ونحكي
ثم نأكل خبزاً وزَعْتراً
نغمسهما في زيت الزمان .. ونضحك !

بدايةُ الصِّبا

من صفحاتِ كتابٍ قديمٍ جاء نا جنيٌّ مخيف

صاح صارخاً :
«اختاروا أحدها :
دربَ السلامة ،
أو دربَ الندامة
أو الدربَ الثالث الذي تعرفانْ» .
نظرتِ إليَّ .. نظرتُ إليكِ .. ضحكنا وقلنا :
«لن ندلف إلى أيٍّ منها أيها الجنيُّ اللطيف ،
فاجلسْ معنا هنا بينَ بيَّارات البرتقال وتحت كروم العنب
نقطفُ الثمارَ ، ونقرأُ الكتبَ الملوَّنةَ ،
ونسمعُ الأغانيَ والحكاياتِ ذواتِ النهاياتِ السعيدةِ
ثم نجري نحو الأفق .. ونقفز بين النجوم !» .

نهايةُ الصِّبا

حين جلستِ قُبَالتي على المائدة بين السحب والنجوم ،
تبادلنا ، كعادتنا ، الأناشيدَ والدفاترَ والصورَ الملونةَ
وقصصَ الأطفال والمرايا والأشياءَ الصغيرةَ ،
واحتسينا القهوةَ العربية .
ثم جاء نا أحمدُ الزعترُ .. جلس بيننا .. نظر في عيوننا ،
فاندلعت الثوراتُ داخلَنا :
جيَّشنا الجيوشَ سوياً ،
تسلَّقنا الجبال وخُضنا المعارك ،

حرَّرنا كلَّ المدنِ الأسيرةِ ،
ثم رفعنا الراياتِ على البروج الشاهقة
وعدنا ، بأكاليلِ النصر الخياليِّ ، نهلِّل !

الشباب

حان وقتُ الجهاد .. كبِّروا !
حان وقتُ العطاء .. هلِّلوا !
ولتعجنوا الأغانيَ والكلماتِ
وأوراقَ الصحفِ القديمةِ والجديدةِ وأحلامَ الصبايا ،
ولتصنعوا منها كلِّها قوسَ قُزَح :
فَتَحْتَه ستُنشدُ الجُوقةُ أغانيَ الزفاف
وسيسيرُ الجندُ إلى أرضِ الدمِ والياسمين .

الانتفاضة

أيتها البنتُ النَّفُوض
يا من تلدين الجندَ والشهداءَ والأغاني :
في عينيكِ أورقت المعاني ،
بين يديكِ عادت الدِّلالةُ للكلمات ،
فتجلى السرُّ ، ونطق الحجرْ !

وجهُ الله ذو الجلال والإكرام

عاد الجندُ والشهداءُ ، والأطفالُ والأرامل
يرتِّلون أناشيدَ الحزن والنصر
ويقيمونَ مراسمَ الفرحِ والحداد ،
«فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟» .
وكنا على قمة تَلٍّ بعيدٍ ننظر إليهم
حين لاحت على جبينكِ نجمةُ الغروب
وسقطت في كفِّكِ برتقالةٌ
«فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟» .

لحظة الفراق

أمسكَ العصفورُ عن الغناء
ولوى عنقَه كي لا يراكِ ترحلين ،
وحتى الأشجارُ ، التي طالما أينعت لنا وأورقت ،
حتى الأشجارُ ، وقفت منكسرةً
وكأنها هي الأخرى على وَشْكِ الرحيلْ !

الكهولة

لم تبقَ سوى شُرْفةٍ صغيرةٍ في القلب
تُطلُّ على أرضِ الألوانِ والأشواقِ والزيتونِ والزعتر .
فلنحْلُم طيلةَ العام إذن

مثلَ جدولٍ عنيدٍ تحرقه الشمسُ الضارية ،
ولكنه يظلُّ يا عيني يجري ويجري
بين الصخور والرمال العطشَى
حتى يصلَ إلى الأرض النديَّةِ الخضراء
التي تغرِّدُ فيها طيورُ الجنة الملونة
طيلةَ العام .. طيلةَ العام
«فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟» .

بعد الموت

جاء نا ملاكٌ طيبٌ عجوز
خفق قلبهُ مرةً في الزمان القديم ،
وبعيونٍ لا تعرف الحزنَ أو الدهشة
فتح كتابَنا ..
رنَا إلى صفحاته لحظة ..
نظر إلينا ثم أغلقه .
أغلقه ، يا عزيزتي ، وابتسم
ثم رفرفَ .. عائداً إلى أرض السكينة !

١٩٨٧

الأمطارُ في حجرتي

أجلس أمام الصفحات الملساء
ممسكاً بالقلمِ الأسودِ
أخطُّ حرفاً ساكناً وراء حرف ،
فتصبح الحروفُ كلماتٍ ، والكلماتُ جُملاً ،
والجُملُ سطوراً لا معنىً لها ،
ثم يُخيِّم الصمتُ العقيم .

ولكن حينما يأتي صوتُكِ عبْرَ السحاب ،
ينتفض العصفورُ ويرفرفُ بجناحيه
ويطير ليحُطَّ على كتفيَّ .. ثم يصدح بالغناء .
فتنبتُ البراعمُ ، وتتفتَّح أكمامُ الزهور ،
وتهطِل الأمطارُ غزيرةً فوق الغابات ،
وتُورقُ الأشجار
تحت سقف حجرتي .
ثم تكتسح السيولُ جبالَ الحزن والملل
وتلد الكلماتُ رجالاً ومدناً .. وقصائد !

١٩٨٧

أحزانُ المحبِّين وأفراحُ الفلاسفة

حينما يقف المحبونَ في لحظة الفراق
عند سَفْح جبلٍ في ليلة عاصفة ،
أو في بستانٍ أخضرَ في ليلةٍ يتوِّجها القمر ،
أو أمامَ خليجٍ أزرقَ صغيرٍ عند غروب الشمس ،
فإنهم عادةً ما يشبِّكون الأيدي
ويتنهدون ، ويتبادلون الوعودَ والزهورَ الملوَّنة
ثم يَسْفَحون الدمع ساخناً ،
فتضحك من وعودهم الملائكةُ والنجوم
آهِ .. وتجف الدموع ، ثم تَذْبُل الزهور !

أما نحن ..
فلأننا نتحلَّى بهدوء الفلاسفة وصفاء أذهانهم
فإننا لا نبكي ، لا .. ولا يُمِضُّنا الجَوَى ،
بل نذهب للمعاجم ودواوينِ الشعر
ونُهْرَعُ إلى أسفارِ الحكمة القديمةِ
نبحث عن معنى الكلمات سويا :
عن علاقة الدالِّ بالمدلول ،
عن كُنْهِ الصور المجازية ،

عن سرِّ الله في الإنسان ،
ثم نثرثر عن الألوان والألحان .. والأحزان والثورة !

لكلِّ هذا ، حينما أسافر .. لن أذكركِ
إلا في المناسباتِ القليلة التالية :
حينما يدق جرسُ التليفون ،
أو أحتسي قهوةً عربيةً دون سكَّر .
حينما أغمسُ الخبزَ في الزَّعْتَر ،
أو أمرُّ على حقول النَّعْناع والنَّرْجِس .
حينما يُنشِد المنشدونَ أغانيَهم ،
أو يتلو الشعراءُ قصائدَهم .
حينما أفتحُ نافذةَ غرفتي كي أرى غروب الشمس
أو أسمعُ نغمةً متوترةً حزينةً تغيب وراء السحب .

ساعتَها .. سأذكُركِ ،
وسأبتلعُ حزني في هدوء الفلاسفة ،
ثم سأبحث وحدي ، عبثاً ، عن معنى الكلمات !





الحصارُ والأسرار

.. وعندما تجلَّى السرُّ في أحجارها
رفعتِ العرَّافةُ العجوزُ رأسَها ،
ثم قالت بعد أن ركَّزت عيونَها :
– سبعُ صحارٍ ، وسبعةُ أيام تقضيها فيها .
خمسةٌ منها في الشمس الحارقةِ التي لا قلبَ لها ،
ويومانِ، يا ولدي، تلفَحُك العواصفُ الثلجيةُ التي لا تعرف الله.
سبعُ ليالٍ تقضيها فيها :
خمسٌ ، يا فِلْذةَ كَبِدي ،
خمسٌ تختبئ فيها وراء التلال على مقرُبة من جُحْر الذئاب ،
واثنتان وحيداً ، تَبيتُهما في العراء بين الحجر ،
تنظر فلا ترى سوى موتِ القمر ..
وعند الفَلَق
ستجد اسمها منقوشاً على حائط قلبك القديم ،
وتسير حتى ترى عن بُعدٍ مليكتَكَ جالسةً
في كبرياءِ تماثيل الآلهة الحجرية
التي هجرها عابدوها .
– كيف بالله يتأتى لي ، أيتها العجوز ،
أنا الذي وخَطَ الشَّيبُ مَفْرِقَه

وهبَط في أعماق كهوف الحكمة والعبث،
وصَعِد إلى قمم جبال الصمت والسكون ..
كيف بالله يستطيع من هو مثلي الوصول ؟!
– وبعد أن تسير فرسخينِ بين جبال المِلْح والضغينة
ستصل إلى عين ماء
تُطفئ فيها بعضاً من ظمئك .
عندئذٍ ستسطع أمامَك حقولُ النَّعْناع والنَّرْجِس ،
في وسطها تجلس أميرتُك
تحتسي وحدَها قهوةَ الصباح ، ولا تبوح
وتسمع أنغامَ الناي الشجيِّ .
لكنها ، يا عيني ، لا تسكب دمعاً
لا .. ولا تنطق حرفاً .
– أيتها العجوز .. عَمَّ تتحدثين ؟!
أنا ألتحف الصمتَ في النهار
وأحلُم بالغناء طوالَ الليل ،
وأجلس بين المعاجم والأسفار
أدقِّقُ النظر
فلا أرى سوى وجهِ الحقيقة العاري
فأتحسَّسَ شعرَها المهيبَ الخياليَّ
فكيف بالله ... ؟!

– ثم تسير ساعتينِ في أرض الأفاعي والأكاذيب
تُغذُّ الخطى ، تَعُدُّ حباتِ الزمن .
حتى تصلَ إلى أشجار الزيتون الأزليِّ
فتأكلَ اثنتينِ في ظلالها .
عندئذ
ستظهر في الأفق القلعةُ التي لا أبوابَ لها :
مهيبةً ، شامخةً ، موصَدَةً
تَلُفُّ بروجَها السُّحُبُ والضباب
فتبيت يا ولدي بجوار الأسوار .
تصوم ليلتين
وفي الثالثة .. تبحث ، وحدَك ، عن معنى الأسرار .

(عندئذ
رنَّت الأجراسُ الخافتةُ
وكأنها يدُ المطرِ الصغيرةُ تلمَسُ الأحجارَ والأزهار ،
فدخلتُ في قاعة فسيحةِ الأرجاء
أرضُها لامعةٌ مثلَ ليلةٍ صافية تتلألأ فيها النجوم .
وفي ركنٍ قَصيٍّ
وجدتُكِ يا صغيرتي واقفةً ، حائرةً ، حزينة
مثلَ ملاكٍ صغيرٍ ضلَّ طريقَه وهْوَ عائدٌ إلى السماء ،
مثلَ طائرٍ وليدٍ يجلس في العُشِّ عند الغروب

ينتظر الغِذاء والدِّفءَ والسكينة
ويتلفَّت حولَه بعيونٍ واسعة) .

– عندها يا بُنيَّ ، ستُرَبِّت على شعرها
وستقرأ لها بعضَ الأشعار ، وتعزف لها شيئاً من النغَم ،
وتعطيها كتباً ملوَّنةً ، وإبريقاً نُحاسياً ، ومرآةً عربيةً ،
ثم تُهدِي إليها صندوقاً فضياً صغيراً
حين تفتُحه
يخرج منه قَوسُ قُزَح .
وحين تنظر فيه ستجد معنى السر :
مِزْهريةً صغيرةً صغيرةً
زهورُها لا تذبلُ .. مثلَ الذكرى ،
ولا تموتُ .. مثلَ الصدق والعنقاء والخِلِّ الوفيِّ .
عندئذٍ .. ستشرقُ الشمس
وتعلو الابتسامةُ ثغرَ الأميرةِ الصغيرة
ثم تضحك
وتبوحُ بالسرِّ .. دون أن تنطقَ حرفاً !

١٩٨٨

عيدُ ميلادِ الأميرة

في يوم ميلادها ، ماذا أهديها إذن ؟

دخلتُ حوانيتَ الزجاج والذهب ،
طرقتُ أبوابَ المدن المحايدة ،
سرتُ في الأسواقِ النهمةِ الجائعة ،
عرَّجتُ على البلاد التي لا وجهَ لها ،
امتطيتُ صَهوةَ جَوادي ،
وصلتُ إلى أطراف الأرض والزمن .
عرفتُ البدءَ والختام
ثم حط على حافَةِ شُرفتي طائرُ السعد، وابتسم ،

فهمتُ ما أراد .. عرَفت سرَّه ..
فأرسلتُ إليكِ يا أميرتي على عَجَل
قصيدةً لم تُنظم أبياتُها بَعدُ ،
تخرج منها قوافلُ
تحمل إليكِ أفخرَ الثياب الحريرية
التي لم تُغزل خيوطُها بَعدُ .
وأجملَ الطنافس التي لم تَحكْها يدُ صانعٍ .

وعِرْقَ ذهبٍ يرقد في بطن جبل على مقربة من قريةٍ آمنة
فرغ أهلُها من الحصاد
فجلسوا تحت النجوم يتسامرون .
ولؤلؤةً طفلةً جالسةً في محارتها
تمر عليها المياهُ الدافئةُ الزرقاءُ
فتبتسم وتغفو .. ثم تحلُم بالفردوس .
ويوماً جميلاً مثلَ يومِ ميلادكِ
صباحُه صافٍ كالسماء بعد زَخَّةِ المطر ،
مُشمِسٌ كضحكتكِ .
وفي مسائه
سأدلِفُ في أحلامكِ لنشرب القهوة سوياً .
وسندخل مدينتنا بين صفوف الجند والفرسان والحرس
وسنجلس على عرشها ، ونحكمها سوياً بضعَ دقائقَ أزلية ،
فيعمُّها الصدق ، ويسودُها السلامُ والسكينة ،
وترتفع على بروجها راياتُ الوفاء .

عندئذ .. رفرف طائرُ السعد بجناحيه
وقَفَلَ عائداً إلى قُبَّة السماء الزرقاء !

١٩٨٨

الأبجديةُ والفِرَاق

وحين أمسكتُ بالقلمِ لأكتب قصيدةً إليكِ
تحملينها يا صغيرتي في أسفارِكِ البعيدة ،
كالطيور الجارحة هاجمتني الحروف .

كالسَّهم كانت الألف ،
وكانت الباءُ باباً مغلقاً ،
والتاءُ توءماً للحزن لا يفارقه ،
والثاءُ ثرثرةً رَخْوةً مثل ثعبانِ الملل ،
والحاءُ حَوْمَةَ الوغى ، حرباً تدور في حَمْأة الظلام ،
والخاءُ أرضَ الخُبْثِ والخرابِ والخَواءِ والكذب ،
والدالُ دُخَانَ سيجارةٍ
لم يذق صاحبُها نوماً ، لم ير حُلْماً ، لا .. ولم يعرف البكاءَ والندم ،
والذالُ ذئباً يقتل المسافرين ،
ذُبَالةَ أملٍ هبَّتْ عليها الريحُ فانطَفَتْ ،
وردةَ ذكرى .. ذَبَلت ثم ذَوَتْ .
أحكمت الأبجديةُ الحصار :
القافُ أطبقت عليَّ قوقعةً ،
وكالكابوس سدَّت الكافُ الطريق



ثم كالأفعى استقرت فوقَه لا تبارحُه ،
واللامُ كالعصا انهالت عليَّ ،
والياءُ يأساً ما له قرار ،
ينبوعَ ماءٍ جفَّ لا يروي من الظمأ .

أمسكتُ بالأبجدية أودُّ سَحْقَها
وبالمعاجمِ .. أن تَمَّحى .
جاء ني حرفُ الصاد فارتعدتُ
لم أرَ سوى الصبَّارِ والصحارى والعدم .
وصلتُ قاعاً صَفْصَفاً
وفوق رأسي حوَّمت صقورُ الموت ،
أحسستُ بالصَّقيع والصَّقَع .

ولكنها حينما دَنَتَ
رأيتُ الصغيرةَ في القطار جالسة
تنظر في حذائها ، وطَرَفِ فستانها ، وتُمعن النظَرْ ،
تُطلُّ من شبَّاكه ، تفكر في مباهج الشَّعْر والسفَرْ .
تقيم عُرْسَ الكون ،
تتلو مراثيَ المطرْ ،
تغوص في همومها الكبيرةِ الصغيرةِ ،

في أحلامها الفريدةِ ،
وفي سعادةٍ لا يشوبها ألمْ .

وانفتحتْ للصباح كُوَّةٌ صغيرةٌ :
السينُ بالسلام جاء ت ، ثم بالسكينة ،
والشينُ بالشروق ، والضاد بالضياء ،
والطاءُ طائرٌ أليف ،
والظاءُ ظَبْيٌ ظامئٌ لثدي أمِّه
يرضع .. ثم في ظلها ينام .
ثم احتوتني العينُ والعيون :
كالأُفْقِ .. كانت الألف
والياءُ ياسمينةٌ بيضاء .
ساعتَها حوَّمت فوق رأسي الأبجديةُ
وديعةً رقيقةً مغرِّدة ،
رفرفتْ ثم استقرتْ
فوقَ حائطٍ في قلبيَ القديم
نقشتْ عليه أحرفاً ملونة ،
أحرفاً خفيةً ،
لا تراها إلا عيونُ مَنْ يحبُّ أن يَرى ،
مَنْ يدركُ السرَّ ،

مَنْ يقطعُ المسافة ،
مَنْ يفهمُ الخَبَر .
عندها .. حطّتِ الطيورُ ، ثم راحت
عيونُها الوسيعةُ البريئة
ترصد القوافل ، تَحسُبُ الأيام
لحين عودة المسافرين ..
عودتِكْ !

١٩٨٨



الاحتراق
(في صباح اليوم الأخير)

وثنياً كنتُ بالأمس
وثنياً كنتُ ..
أعبُد الأصنامَ والصور ،
وأقف كبرقِ السماء القديم على حدود الزمن .

(آهِ .. لو أُمسكُ الكونَ في راحتي
وأدخل في قلب النَّواةِ والأسرار !
آهِ .. لو أُمسك روحَكِ بكلتا يديَّ !
لحلَّقنا سوياً كَنَسرينِ جارحينِ ،
وعَدَونَا كغزالينِ في الغابات والوديان ،
ولَغُصْنا كحُوتينِ في أعماق المحيط .
آهِ .. لو عشنا سوياً في اللامكان .. في الأزل !) .

وثنياً كنتُ ..
أجلسُ في فم البركان ،
أمشي تحت الرعد ،
أسير فوق الزلازل ،
حتى أصلَ إلى حافَةِ الموت والعدَم

فتُقبِّلُني ألسنةُ النيران .

أما اليوم ..
فسأقف يا ربي عند عتباتِكَ خاشعاً
أحملُ غصنَ صفاءِ المودة
وانتظر مشيئتَكْ
أن تهطل رحمتُكْ
فيُكلِّلَ قَطْرُ الندَى الزَّهَر .

١٩٨٨



اللقاءُ في الليلة الأخيرة

في المساءِ انتظرتُكِ تحت النجوم والقمر ،
وحين حضرتِ أيتها الطفلةُ الأزلية
كالأيقونة البيزنطيةِ الحزينة كنتِ ،
كقدّيسة لا تكترثُ بالعذاب .. فتظل مرفوعةَ الرأس ،
كفراشةٍ ترفرفُ في دائرتها ، تعيش في ألوانها
ولا تعرف سوى الغصنِ والأزهار والضوء .

وحينما أعطيتكِ خاتَمَ العقلِ والحبِّ والمودة
أمسكتِ به
وضعتِه حول إصبَعِكِ
نظرتِ في المرآة وابتسمتِ ،
ثم رفرفتِ عائدةً إلى دائرة اللون النُّورانية ،
فقلتُ : «ما شاء الله» !

١٩٨٨

أغنيةٌ للطفلة العنقاء
قبل أن تنام في الليلة الأخيرة

كان الفرسُ – يا صغيرتي – يسيرُ على الأسفلت الساخن
مطأطئَ الرأسِ
يجرٌّ العَرَبة .

على جسده كانت تمر العجلاتُ ،
تدور وتدور وتدور ،
إلى أن تصل إلى أذنيه ثم فمِه ،
فيبلعُها ولا يبوح .
كان يسير بجوار السيارات الرتيبة
يَشَمٌّ الدخَانَ والضجيج .
وعند إشارة المرور
كان يقف ذليلاً
يتلقى السِّياطَ ويَمضُغ العلفَ الرتيب .

وبغتةً ..
انطلق كالشَّرارة
وظلَّ يجري ويجري .. ويجري ويجري
يمرٌّ على السيارات ، ووجوهِ الرجال العاديين .

ومَكْرِ اللئام ، ومساوماتِ القوّادين ، ونداءِ الباعة .
ظل يجري ، تاركاً وراءه أبوابَ كلِّ الحوانيت والسجون
وبواباتِ المدن المحايدة
وأسواقَ الزجاج والذهب .
ظلَّ يجري دون أن يلتفت إلى الإمارات الصغيرة
أو الممالك الكبيرة .
وحتى مقابرُ المماليك ومساجدُ العباسيين
والمعبدُ الرومانيُّ والمسرحُ اليونانيُّ
وهرمُ خوفو ..
لم يُعِرْ أياً منها التفاتاً .
وانطلق
إلى الوديان والصحارى والجبال السامقة
إلى أعلى القمم ..

وحين ارتطمَ بالسور
صرخ - يا صغيرتي - في صمت ،
سقطَ على الأرض ،
نزفَ دمُه
ثم أغمض عينيه .

ولكنني - ذلك المساء - رأيتهُ يرتادُ السُّحُب

ويعدو في وديان السماء سعيداً
نحوَ الجنة ،
فنبتت في قلبي شجرة خضراء !

١٩٨٨



اللحظةُ الأخيرة
(من ثلاث حركات)

الحركة الأولى : غنائيةٌ قصصيةٌ (داخلَ أسوار المدينة)

وعند لحظة الفراقْ
سنخرج معاً من مدينتنا الصغيرةِ الطيبةِ
وسنقبِّل كلَّ الأطفال ، ثم نعطيهم حلوى ومَرايا ،
وسنلوِّح للرجال والنساء ، ونقول :

«وعند ظهور البدر في السماء ،
وعندما تسمعون نغماتِ الناي الحزين ،
يا أهلَ مدينة المحبة ،
يا من تحملون غصنَ صفاء المودة :
باللهِ أرسلوا لنا رسولاً
يخبرنا عن أحوالكم
وعن البنات والأطفال والقَصص الملونة ،
وعن أشجار الزيتون الأزليّ
التي طالما جلسنا تحتَها نأكل الخبزَ والزَّعتَر .
وأخبرونا ، يا أهلَ المدينة الطيبة ،
عن الحائط القديم الذي نقشنا عليه اسمينا وقصتَّنا ،
ألا تزالُ الطيور واقفةً عليه

ترصد القوافل ، تحسُب الأيام ؟
ألا تزالُ مِزْهريةُ الذكرى عند نافذة الأسرار ؟
ألا تزالُ الشجرةُ الخضراءُ وارفةُ الظِّلال
تظلِّله كالأُمِّ الحنون ؟
يا أهلَ المدينة الطيبة
اذكرونا مثل ذكرانا لكم .
ثم رتِّلوا أغنيةَ الوفاء
واعزفوا ألحانَ الذكرى التي لا تموت .
اذكروا الأميرَ والأميرة ،
لقد حكما مدينتَكم بالعدل
في عصر اللحظات الأزلية ، وفي زمان الطُّمأنينة الخالد ،
ورفعنا على ربوعها راياتِ المودة والوفاء .
وفي كل عام
عندما يزيِّن قوسُ قُزَحَ قبةَ السماء ،
وعندما تعود الخُضْرةُ إلى أوراق الشجر ،
سنزوركم لنغني أناشيد العودة وأغاني الوِصَال» .

عندئذ جاءت العَرَّافةُ العجوزُ وصافحتنا
ثم دسَّتْ في يديكِ النَّعناعَ والنرجِس
وقبَّلتكِ .
وانتحيتُ بها جانباً ، وتحدثنا لحظات .

وعندها دسَّتْ في يدي حجاباً
فقبَّلتُ يديها .
أما حكيمُ المدينة العجوزُ
ذو اللحيةِ الطويلةِ البيضاء
فقد هزَّ سُبْحتَه ، وأطرق رأسه ، ثم قال :
«نعم ! نعم ! لن نذرف الدمع ، إن شاء الله ،
ولن يعرف الحزنُ طريقه إلى قلوبنا» ،
ثم أجهش بالبكاء !

الحركة الثانية : غنائيةٌ تأمليةٌ (حديثٌ للحظاتٍ مع العرَّافة العجوز)

وماذا أسميها يا عرَّافتي العجوز ؟ ماذا أسميها ؟!
أعنقاءُ هي تعيشُ في الأزلْ ،
أم طائرٌ صغيرٌ يخاف الدقائقَ والثواني ؟
وماذا أسميها بالله ، ماذا أسميها ؟
أَطلَسْمٌ هي أم أغنية ؟
أكَنزٌ هي ، أم لغزٌ تعيا في فهمه العقول
وتتحطَّم على حافَتِه القلوب ؟
وماذا أسميها إذن يا عرَّافتي العجوز ؟ ماذا أسميها ؟!
أطفلةٌ هي ، بريئةٌ كصفحة البحيرة الصافية المسحورة ،
أم حكيمةٌ في عمق البئر ؟

أقصيدةٌ غنائيةٌ هي يترنَّمُ بها المحبون ،
أم أحرفٌ كُتبت على حجر لن يقرأها فارسٌ أو أمير ؟
وماذا أسميها ؟ اصدقيني القولَ .. ماذا أسميها ؟!
أبستانٌ أخضرُ ؟
(وعندما حانت لحظةُ التعب
جلستُ يا أميرتي ،
شربتُ من إنائكِ ، ارتويتْ)
أم شجرةٌ قديمةٌ ملتفَّةُ الأغصان ؟
(وكلما رأيتُ ما رأيت ،
يفيض في فؤاديَ الأسى ،
عطشتُ ، ما ارتويتْ) .
أنجْمٌ مضيءٌ هي
أم شهابٌ يسطع ثم يحترق ؟
أخريرُ الغدير
أم هديرُ أمواج المحيط ؟
بالله .. ماذا أسميها ؟!

وعندما دسَّت العرَّافةُ العجوزُ في يدي الحِجَاب
قبَّلتُ يديها .
وحيداً في غرفتي في المدن البعيدة
جلستُ

لمستُ الحجاب
ابتسمتُ ، عرفتُ ،
اكتفيت !

الحركة الثالثة : مَرْثِيةٌ تأمليةٌ (خارجَ أسوار المدينة)

وبعدَ أن نغلق أبوابَ المدينة الطيبة
حتى لا تدخلَها جيوشُ الغزاة ،
سأغوصُ عن عَمدٍ في عينيكِ
لأسترجعَ كلَّ المدنِ والكلماتِ والقصائد
وأحمدَ الزَّعتر
وأُنشودةَ الوداع
وسرَّ الإنسان .
سأرى الطفلةَ العنقاءَ
تنظر في كبريائها القديم
وخلفَها يُطلُّ الملاكُ الصغير
عيونُه وسيعةٌ حزينة .

وحينما تلتقي العيونُ ، يا صغيرتي ، للحظةٍ أزليةٍ أخيرة
لن نقولَ شيئاً
ولن أدُسَّ في يديكِ سوى حُلْمِ الفردوس ..
ثم نفترق !

١٩٨٩

الماضي في المستقبل

طِرْتِ عني إذن مثلَ الحمامة البيضاء !
طِرْتِ !
وهأنذا أجلسُ أمام قُرصِ الشمسِ الأبيض
أحتسي وحدي القهوةَ السوداء .

وحينما جاء صوتُكِ عبْرَ السحاب ،
غاص قلبي إلى قَدميَّ
مثلَ قُرْصِ الشمس عند الغروب ،
فوضعتُ الفنجان على المائدة إلى جانب أزهار النرجِس .
وفي لحظةٍ أزليةٍ خاطفة
هدرتْ بحورُ الذكرى
فصَمَتُّ
ولم أقلْ شيئاً ،
حتى يكلِّلَ قَطْرُ الندَى الزَّهَر !

١٩٨٩

أميرةُ القهوة

عادت فُلولُ جيوشهم من أرض المعركة
منتصرةً أو منكسرة .
عادت من المدن الكبيرة الظالمة ،
ومن السوق والمصنع ،
عَبْرَ الطرقاتِ الجديدة المعبَّدةِ
والسِّكَكِ القديمة الملتوية الوَعْرة .
عادت
تحمل ألويةَ النصر أو علاماتِ الهزيمة .

أما نحن ..
سكانَ المدينةِ الصغيرةِ الطيبة
وقبةِ السماء البَلُّوريةِ الزرقاء ،

أما نحن ..
من نتحدث لغةً لم يأتِ لها ذِكرٌ في كُتب اللغويات
أو في أقدَمِ المعاجم
.. فقد آثرنا الصمت ،

فأورقت شجرةُ المحبة وأينَعت أزهارُها
وتدفّق نهرُ الوفاء والمودة
يغطي هديرُه كلَّ الكلمات ..
إلى أميرة القهوة !

١٩٩٣



الكلامُ والصمتُ والبكاء

حين جلسنا سوياً على شاطئ النهر
فتحنا بواباتِ مدينتنا الصغيرة
فانطلقتْ منها الطيورُ الملوَّنةُ الصغيرة ،
طيورٌ أسطوريةٌ تغني منذ ألفِ عامٍ وعام ،
طيورٌ حمراءُ وخضراءُ وصفراء
وزرقاءُ وخضراءُ وحمراء
وبيضاءُ وصفراءُ وزرقاء
سَبَحت كلُّها في قبة السماء ،
ثم حطَّتْ فوق رأسكِ كالأكاليل
ثم استقرت عند قدميكِ ،
أميرةَ القهوة ، أيْ أميرتي .

أنختارُ بَعدَ هذا الكلامَ ،
أم نؤثِرُ الصمت ،
أم ننخرطُ في البكاء ؟

١٩٩٣

وداعُ الصغيرة

وبعد أن سرنا سوياً على قَوسِ قُزَحَ
وجمعنا قطراتِ النَّدَى
وحباتِ اللؤلؤ ،
وقصصَ الأطفال والمرايا والصورَ الملونة ،
وقفتُ على عَتَبات الزمن
لأودِّعَكِ .

فأخبرتُك ، يا صغيرتي ، عن غابات الشوكِ
وقِلاعِ الكُرْهِ والضغينة ،
فجاءت الشياطينُ ، وأخذت تَعوي ،
فتقدمت نحو النار .
ثم أخبرتُكِ عن سماواتِ الحُلْم وبساتينِ الطفولة ،
وعن قصورِ المحبة والمودة ،
فجاءت الملائكةُ وغنَّتْ لكِ ،
فتقدمتِ نحو الجنة .

خُطوةً .. خطوةً :
نحوَ النار ..
نحوَ الجنة .   ١٩٩٩

غُنائيةُ الأحلامِ الملوَّنة

وقفتُ على حافَةِ الزمانِ والمكان
أنتظرُكِ ،
أخبِّئُ الأشواقَ والألوانَ والأغاني .
وحين حضرتِ ، يا أيقونتي الهائئةُ الحزينة ،
دخلنا – كعادتنا – الدائرةَ المسحورة
ثم سرنا فيها كطفلينِ تشابكتْ أيديهما
حتى وصلنا إلى بُحَيرة الخيالِ السماوية ،
فجلسنا على حافَتِها
ننظر إلى النجومِ تنعكسُ على صَفْحتها
ونرى البَجَعاتِ الملكيةَ تمرُّ أمامَنا ،
أما طيورُ الفردوس
فكانت ترفرفُ حولَنا بأجنحتها الذهبيةِ الملوَّنة
من الصباح .. إلى المساء .. إلى الأبد .

ثم أخذنا زورقاً مغسولاً بزُرْقةِ السماء الصافية
ولونِ الأحلام النبيلة .
وحين وصلنا إلى جزيرة المحبة المستحيلة
جلسنا تحت أغصان شجرة المودة الوارفة .

وبينما كنا نتناول في ظِلالها القهوةَ
(ترشفينها بشراهةِ طفلةٍ عنيدة)
لم نسمع سوى همسِ الريحِ والموج
وحفيفِ أجنحة الملائكة
وصدى أغاني الأطفال .. ينسابُ إلينا من مملكةِ البراءة .

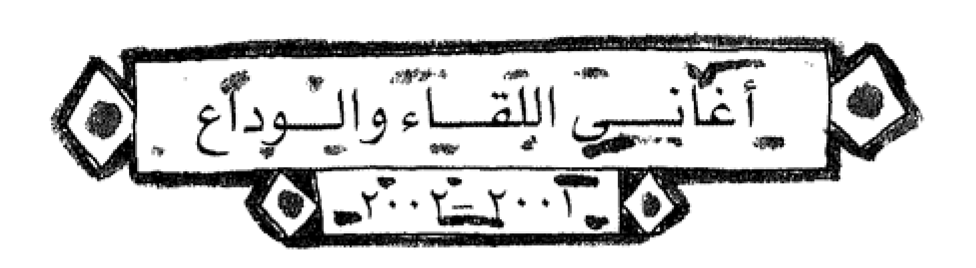
آهِ يا جزيرةَ المحبة الصغيرةَ الكبيرة !
فيكِ يتوقف الزمان ، وينحسر المكان
وتتماوج الألوانُ والذكرياتُ والأشواق
ويبوحُ لنا الصمتُ بالحقيقة .

وحينما يقتحمنا الزمانُ ويقرعُ أجراسَه ،
وحين تحينُ لحظةُ الفراق
لا نذرفُ الدَّمْعَ
كما يفعلون في أغاني الحبِّ القديمة ،
لا .. ولا تمرُّ سحابةُ حزنٍ دفينٍ على جَبَهاتنا .
إذ أننا حين نكون بين الحُلْم واليقظة
من الصباح إلى المساء
من بداية العام حتى نهايتِه
من الأزلِ إلى الأبد –
نجلس دائماً في جزيرة المحبة ، لا نبرحُها ،

في ظلال شجرة المودة
نحتسي القهوةَ معاً ،
فيلتحمُ المعنى بالكلمات ،
ويمتلئُ الصمتُ بالأغاني والأشعار ،
ويظهر وجهُ الحقيقة العاري !

٢٠٠٠




أغاني اللقاء والوداع
٢٠٠١-٢٠٠٢



قصيدة اللقاء والوداع

جلست يا صديقتي ،أخطُّ لكِ قصيدة
كلماتها منسوجةٌ من نشيدِ الوفاءِ والمحبة ،
خيوطُها مُستلّةٌ من سحابة الضياءِ والوفاء ،
صورها مأخوذةٌ من جزيرةِ الصفاءِ والمودة ،
ألَقُها يشعُّ من نافورة هادئة
انبجست مياهُها بين الصخور السوداء :
تصبُّ في قلبي ،
فتورق الأنغامُ والأشجارُ والأزهارُ والأحلام .

ثم جئتِ – آه – ثم جئتِ ،
كعصفورٍ حطَّ على حافَةِ نافذتي ،
نظر إليَّ في دهشةٍ ،
رفرف بجناحيه فرحاً وبهجة ،
ثم طار في سماء قلبي .

حينئذ تقدمتُ نحوكِ
أمسكتُ بكِ ،
عجنتكِ بالأحلامِ والألوانِ والأنغام
والأشعار والأسفار والأسرار والقصص ،

خبزتكِ عروسةً صغيرةً صغيرة
أحملها معي في أسفاري وأشعاري وتَرْحالي .

ثم وصلنا – آهِ – يا أميرتي ، وصلنا
إلى أطراف أرض الضياء والخيال .
فحلَّقت الطيور فوق حقول القمح والياسمين ،
وكست الزهور التلالَ والوديانَ والحجرَ ،
وتعالت موسيقى الزفاف ،
وانثالت الكلمات والألوان والصور :
قصيدةَ اللقاء والوداع .

٢٠٠١



الفراشات والعقارب :
وداع الصغيرة .. للمرة الثانية

وتسيرين يا صغيرتي ،
تحملين في عقلكِ الأفكارَ النبيلة
وتحلمين بالعدل والحق والمدن الفاضلة ،
فتتوج البراءةُ رأسَكِ بأكاليل الزهور .
ثم تتذكرين، يا صغيرتي، أحزانَ الإنسان في العصر المقرور،
في زمن الإعلام والنفاق والأكاذيب ،
فتثقل الخبرةُ رأسَكِ بتيجان الشوك .

وحينما وصلنا سوياً إلى جزيرة الوفاء والمحبة ،
جلسنا تحت شجرةٍ وارفة الظلال ،
وأكلنا وشربنا وتبادلنا الهدايا الصغيرة ،
والكلماتِ الرقيقة ،
وثرثرنا عن الأشياء والأشجار
والأشواق والأحلام والأوراق والقلم.

وبغتةً خيَّم علينا الصمت لحظاتٍ أزلية .
فأهديتُكِ زهرتين :

واحدةً في لون الشموس البازغة والمحبة الوارفة ،
والأخرى في لون الدماء النازفة والنيران الحارقة .
ثم أهديتُكِ عالمين :
واحداً تجري فيه الأنهار .. وتغطيه الأشجار والأزهار ،
والآخر تتفجر فيه البراكين وتغرق السفن .
حينئذٍ تحدثنا
عن الأطفال والبرابرة ،
عن المدن الآمنة والصحاري الموحشة ،
عن قمم الجبال والأزِقَّة المظلمة ،
عن الوديان الخضراء وطرق الأسفلت ،
عن الكلمات والصمت ،
عن النور والنار .

فسرتِ ، يا صغيرتي العجوز ،
تحملين في عقلكِ الفراشات والعقارب ،
تتوِّج رأسَكِ أكاليلُ الزهور وتيجانُ الشوك .
ثم خيَّم علينا الصمت لحظاتٍ أزلية ،
وحلَّقت فوقَنا طيورُ الأحزانِ والحكمة ،
فذوت الكلماتُ العادية ،
ونطقنا بالحق والحقيقة .

٢٠٠١

الكلمات والدِّلالة

سأفرش لكِ سجادةً خضراءَ في قلبي
نقيم عليها الصلاة ،
ثم تطير بنا إلى البلاد القديمة ،
والطرقاتِ المعبَّدة ، الطيبةِ الخبيثة ،
وحدائقِ المستقبل :
نسير في طرقاتها ،
نجول في أنحائها ،
نبصر سطحَها
وندرك أعماقَها ،
ثم نغوص سوياً في معناها .

وحين يشرق وجهُكِ الصبوحُ ،
يا صغيرتي ،
نطير إلى السماء الزرقاء
فنمسك بالهلال والقمر
ونلتقط النجومَ والكواكب
ونجري على السحب
ترفرف من حولنا الملائكة .

فنرسم بالألوان المضيئة
رأسَ الديك وذيلَ الطاووس ،
ولوحاتٍ فنية :
غربيةً وشرقيةً .. وشماليةً وجنوبية ،
ومراوحَ صينيةً ومزهرياتٍ هندية ،
وإناءً نُحاسياً قديماً
نُقشت عليه بخطٍّ كوفيٍّ مهيب ،
آياتٍ من الذكر الحكيم ،
ونحكي قصصَ الأطفال والصغار ،
ونقصُّ حكاياتِ الرجال والشهداء .
ثم نجلس نتأمل في كتابات المفكرين والفلاسفة ،
نناقش أبعادَها المعرفيةَ دون خوف أو وَجَل ،
ونتحدث عن دلالاتها في الدنيا والآخرة .

وحينما أسمع صوتَكِ ، أيتها الطفلةُ النبيلة ،
تصدحُ الأغاني ،
ويظهر قوسُ قُزَح وتنثال الألحان ،
فتتماوج الألوانُ فوق سجادة قلبي ،
فأفرشها لكِ مرةً أخرى ،
ونقيم الصلاة .

٢٠٠١

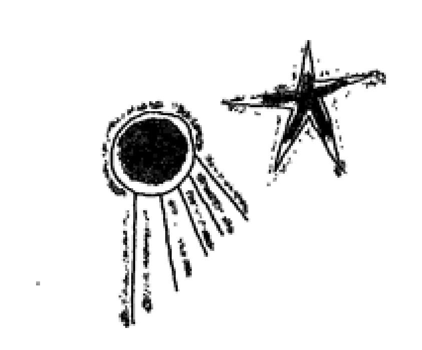
بقعةُ الصمت النورانية

.. وتجلسين في جزيرة الألوان والأنغام ،
يا حوريتي ،
تحلمين بعالم جميل جميل
تنسج لك فيه الملائكة سريراً من الحرير الموشى بالذهب ،
ووسائدَ من ريش النعام ،
وتهيمين في عالم الكلمات الصادقة
التي لا تعرف الظلم ولا الظلام .

وأتيتكِ صبياً صغيراً ،
نجري على التلال حافيين ،
نتسلق الأشجار
ونشرب من الينبوع الصافي ،
ثم نسير في حدائق البراءة ،
فنقطف الزهور ،
ثم أجدل لكِ منها إكليلاً وأساور وأرجوحة
وحذاءً مجنَّحاً ،
لنطير سويا في السماء البعيدة الزرقاء .
ثم نجلس في بقعة الصمت النورانية ،

نتحدث بلا كلمات
ونهمس بلا صوت ،
وننسى ...
وننسى ، ولو لحظاتٍ ...
تاجرَ الرماح والسلاحْ ،
ورنينَ الذهب ،
وعواءَ الذئب ،
وأظافرَ التنين اللعين .

٢٠٠١



الكلمات والأحلام

.. وسترسم يداكِ صوراً خياليةً جميلة :
منازلَ الذكرى ،
وقلاعَ الأساطير ،
وحقولَ الأحلام ،
ووديانَ البركة
تجري فيها الأنهار
وتغرِّد فوق أشجارها طيورُ الجنة الذهبية .

وعن بُعدٍ .. رأيتُ سحابةً صغيرة
تمرُّ فوق نخلةٍ طويلةٍ
وحيدةٍ ،
تلوح في الأفق
تسبِّح بحمد الله
وتغني لنور الفجر .
تنظر فيما مضى

وتحلم بما سيأتي به الزمن

وتنسِجُ للأطفال القصصَ والأناشيد

والكتبَ الملونةَ الجميلة :

إلى الأميرة .

٢٠٠١



أمير مملكة الأحزان والأفراح

..وتجلس وحيداً في مملكتكَ الصغيرة ،
مملكةِ الأحزان والأفراح ،
على وجهكَ مشروعُ ابتسامةٍ لا تكتمل
في قلبكَ بقايا جراحٍ لا تندمل ،
وأحلامٌ وكوابيس ،
وأزهارٌ وأشواك ،
وأفراحٌ وأتراح ،
وجبالٌ ووديان ،
وواحاتٌ وصحاري .
تسير وحيداً تحمل بين جوانحكَ الأنوارَ والظلمات
والضحكاتُ والصرخات :
أميرَ مملكةِ الأحزان والأفراح .

٢٠٠١

الطائرُ الرشيق والنَّسْر الغاضب

كطائرٍ رشيق
تجلسُ فوق شجرةٍ باسقة ،
في بقعة الصمت المهيب .
تُطلُّ على الكون ،
فتمرُّ على جبينكَ سحابةُ الحزن الأزَليِّ .

كنَسرٍ غاضب ،
يملُّ الصمتَ والسكون ،
يحلِّق فوق الأرض ،
يسير بين الناس
يحمل بين جوانحه نارُ الغضب النبيل .

كطائرٍ رشيق ..
كنَسرٍ غاضب ،
كشعاعٍ من نور ..

كشعلةٍ من نار ،

تسير ،

تحمل بين جوانحك

صمتَ النبلاء وغضبَ الملايين .

٢٠٠١

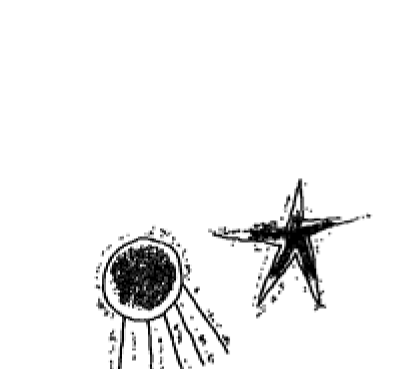


الفارس والنافذةُ

وحينما تُمسكُ بالريشةِ والقلمْ
تسيلُ الألوانُ أنهاراً وأشجاراً
وطيوراً ورجالاً ونساءً
ونوافيرَ ونوافذَ ،
نُطلُّ منها على عالمٍ سحريٍّ
تقفُ على عَتَباته
كفارس خرجَ من كُتب الحبِّ القديمةْ .
وحينَ نَدلِفُ إليه
نعرفُ حكمةَ الطيرِ وأسرارَ النساءْ
وأحزانَ البَنْفَسَج
وألوانَ الخِصْبِ والفناءْ ،
ونرى تلك العيونَ القبطيةَ الواسعةْ ،
وسيوفَ أبطالِ الأساطيرْ .
ثم نحلِّقُ في سماواتِ الخيالِ والفكر
وتتماوجُ أمامَنا الأحزانُ والأفراحْ
والأشجانُ والأتراحْ .
وأنتَ

كالفارسِ القديم
تقف على عَتَباتِه
تعلو وجهَكَ ابتسامةٌ خفيفةْ
وتمرُّ على جبينِكَ سحابةُ الأحزانْ .

٢٠٠٢



أميرة مملكة الألوان

سأضعك على شجرة باسقة
أوراقها خضراء، وزهورها حمراء
مثل أحلامي بك.
حين تجلسين على أغصانها
بثوبك الملائكي الأبيض
تمسكين بوردة زرقاء
مثل الفضاء الذى نسبح فيه سويا،
سأسمع في قلبي صوت الناي
رقيقًا مثل ابتسامتك،
فتنهمر من عيني دموع الفرح:
كأنهار الحب،
وينبوع المحبة.

حينئذ سوف نصعد يا أميرتي إلي السماء المرصعة
بالنجوم،
فنجلس على الهلال
ونترك وراءنا

لغو الناس وازدحام الأسواق وصوت المدافع.
ثم نسبح فى البحيرة المقدسة
بين الطيور والأشجار والنجوم والقمر،
لا نسمع سوى موسيقى الأثير
ولا أرى إلا وجهك وابتسامتك،
تشرق مثل الشمس الدافئة.
فابتسم، ويلفني السكون
وتحط على السكينة كسحابة بيضاء،
ثم يتوهج الفرح داخلي
كطائر ملون يحط على فرع من فروع أشجار المشمش.

٢٠٠٢

بين الألوان والأحلام والحقيقة

وتجلسين بين أكوام الورق والكتب
كطائر ضل طريقه في السماء الشاسعة،
كسمكة ملونة صغيرة تاهت في أعماق البحر،
كنجمة وحيدة حزينة...
فأرسل لك بسرب من الطيور المغردة
تحمل لك كل أشواقي وأحلامي
وتمنياتي،
فتنهضين
كملكة هزمت كل ممالك الأحزان
وسحقت كل جيوش الألم،
ويشرق وجهك،
وتتزوجين من أمير مملكة الأساطير.

عندها سنحلق سويا في كل الممالك والقصص والأساطير،
فيأتي الأطفال يعزفون الأناشيد الملونة
وتهرع النساء لتتوج رأسك بالورود،
ثم نتربع سويا على عرش الطمأنينة والمحبة يا أميرتي،

وأمد يداي إليك لأطوقك بعقد الياسمين.
وحين أستيقظ، وأنظر حولي
لن أجد سوى مزهرية ملونة رشيقة
وفراغ الحجرة
وشوقي إليك.

٢٠٠٢

عبرتُها وحيداً – عبرتُها جميعاً

عبرتُها وحيداً
صحاري الظلام
يا سحابةَ الضياء .

ولكنني وجدتُكِ هناك ،
تقفين شامخةً حائرة ،
تحملين بين يديكِ زهرةَ الحياة والبراءة ،
كتمثالٍ رخاميٍّ جميل ،
دبت فيه الحياةُ فجأةً
فاستمر فيما هو فيه ،
لا يَلوي على شيء ،
ينطق بالحكمة والأشياء الجميلة والرتيبة .

وحين أسمع كلماتكِ ،
تَحُلُّ فيَّ البركة ، يا مليكتي ،
وأحملكِ في لحظات الصفاء إلى السماء السابعة ،
وأدسُّ في يديكِ رسائلَ الحب

وقصائدَ الغرام
وكلماتِ العشق والهُيام .
وأنتِ ،كالتمثال الرخاميِّ الجميل ،
لا يَلوي على شيء .

عبرتُها وحيداً
عبرتُها شريداً
عبرتُها كسيراً
عبرتُها أسيراً
عبرتُها سجيناً
عبرتُها حزيناً
عبرتُها طليقاً
عبرتُها سعيداً
عبرتُها فريداً
عبرتُها شريكاً
عبرتُها جميعاً
صحاري الظلام
يا سحابةَ الضياء
وواحةَ الصفاء .

٢٠٠٢

فهرس

صفحة

الأفراح الأولى (١٩٥٦ - ١٩٦٠)

الأحزان الأولى (١٩٦١ - ١٩٦٤)

أغاني الفردوس الأرضي (١٩٧٠-١٩٧٣)

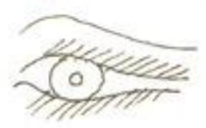
أغاني الحيرة والعودة (١٩٧٣-١٩٧٦)

أغاني اللقاء والوداع (٢٠٠١ – ٢٠٠٢)

رقم الإيداع ١٠٥٠٩/٢٠٠٣
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 09 - 0951 - 3

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

أغانى
الخبرة والحيرة والبراءة



هذه السيرة الشعرية
شبه الذاتية شبه الموضوعية
هى استمرار لرحلة المؤلف الفكرية
يسعى فيها إلى إلقاء الضوء
على بعض اللحظات الدالة فى حياته
من خلال صياغات شعرية
وصور مجازية.



دار الشروق